



جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الأساليب النحويّة في تفسير الطّبري
"جامع البيان عن تأويل آي القرآن"
"دراسة تحليليّة في ضوء علم اللغة المعاصر"

إعداد الطالبة
ياسمين خلف الشواورة

إشراف
الدكتور سيف الدين الفقراء

رسالة مقدمة لعمادة الدّراسات العليا استكمالاً
لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في اللغة والنحو قسم اللغة العربيّة وآدابها

جامعة مؤتة، 2011

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية
لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

الإهداء

إلى الذي أفنى حياته كي أكون...
إلى ملهمي ومعلمي الأول...

والدي

إلى القلب الذي سكن حنانه في قلبي
إلى التي كلما قلت لها وداعاً، قالت لي متى الرجوع...

والدتي

إلى من كانوا عوني وزادي في مشواري
إلى من تجمعني بهم أصدق المشاعر وأحلى الذكريات ...

إخواني وأخواتي

إلى من حمسني دائماً على متابعة البحث العلمي...
إلى الذي كلما قلت له: لم أعد أستطيع، قال: تابعي...

أخي أحمد

أهدي لهم جميعاً ثمرة مجهودي المتواضع شكراً ووفاءً و عرفاناً بالجميل

ياسمين خلف الشواورة

شكر وتقدير

الحمد لله كل الحمد على ما منَّ عليَّ من نعمه وما هياؤه لي من فضل لإنجاز هذه الدراسة، وأشكر الدكتور سيف الدين الفقراء الذي أشرف على هذه الرسالة وتابعها حتى وصلت إلى صورتها الحالية، وأتقدم بجزيل شكري وتقديري للأساتذة الأجلاء الذين شرفوني بقبول هذه المناقشة لإغناء الرسالة بملاحظاتهم العلمية القيمة. كما أشكر جامعة مؤتة وكل من قدّم لي العون والمساعدة في هذا العمل الذي أحسبه لوجه الله تعالى.

ياسمين خلف الشواورة

فهرس المحتويات

المحتوى

الإهداء.....	
شكر وتقدير.....	
فهرس المحتويات.....	
الملخص باللغة العربية.....	
الملخص باللغة الإنجليزية.....	
المقدمة.....	
الفصل الأول: الطبري: ترجمة حياته وآراؤه النحوية.....	
1.1 اسمه ونسبه ونشأته.....	
2.1 شيوخه وتلامذته.....	
3.1 مصنفاة.....	
4.1 وفاته.....	
5.1 مذهبه النحوي.....	
1.5.1 موقفه من الكوفيين.....	
2.5.1 استعماله مصطلحات الكوفيين.....	
3.5.1 مخالفته لمذهب الكوفيين.....	
4.5.1 موقفه من البصريين.....	
5.5.1 الآراء التي خالف فيها البصريين والكوفيين.....	
6.5.1 آراؤه في مسائل نحوية متفرقة.....	
الفصل الثاني: الأساليب النحوية الإنشائية.....	
1.2 أسلوب الاستفهام.....	
1.1.2 الاستفهام لغةً واصطلاحاً.....	
2.1.2 أدوات الاستفهام.....	
1.2.1.2 الهمزة.....	
2.2.1.2 هل.....	

المحتوى

- 3.2.1.2 كيف
- 4.2.1.2 أي
- 5.2.1.2 أنى
- 6.2.1.2 متى وأيان
- 7.2.1.2 أم
- 2.2 أسلوب التعجب
- 1.2.2 التعجب لغةً واصطلاحاً
- 2.2.2 صيغ التعجب
- 3.2.2 أدوات التعجب
- 3.2 أسلوب الإغراء
- 1.3.2 الإغراء لغةً واصطلاحاً
- 2.3.2 أساليب الإغراء
- 4.2 أسلوب النداء
- 1.4.2 النداء لغةً واصطلاحاً
- 2.4.2 أحرف النداء
- 3.4.2 أقسام المنادى وحكمه
- 4.4.2 حذف أداة النداء
- 5.4.2 المنادى المضاف إلى ياء المتكلم
- 5.2 أسلوب الندبة
- 1.5.2 الندبة لغةً واصطلاحاً
- 2.5.2 حروف الندبة
- 6.2 أسلوب النهي
- 1.6.2 النهي لغةً واصطلاحاً
- 2.6.2 معاني النهي في القرآن

المحتوى

- 7.2 أسلوب الأمر.....
- 1.7.2 الأمر لغةً واصطلاحاً.....
- 2.7.2 صيغ الأمر.....
- 3.7.2 معاني صيغ الأمر في القرآن الكريم.....
- الفصل الثالث: الأساليب النحويّة الخبريّة.....
- 1.3 أسلوب النفي.....
- 1.1.3 النفي لغةً واصطلاحاً.....
- 2.1.3 أدوات النفي.....
- 1.2.1.3 الأدوات التي تختص بالأفعال (لم، لمّا).
- 2.2.1.3 الأدوات التي تستعمل مع الأسماء والأفعال (لا، ما).....
- 2.3 أسلوب التوكيد.....
- 1.2.3 التوكيد لغةً واصطلاحاً.....
- 2.2.3 وظيفة التوكيد.....
- 3.2.4 أقسام التوكيد.....
- 3.3 أسلوب الاستثناء.....
- 1.3.3 الاستثناء لغةً واصطلاحاً.....
- 2.3.3 عناصر التركيب الاستثنائي.....
- 3.3.3 أنواع الاستثناء.....
- 4.3 أسلوب الشرط.....
- 1.4.3 الشرط لغةً واصطلاحاً.....
- 2.4.3 أنواع الشرط.....
- 3.4.3 أدوات الشرط.....
- 5.3 أسلوب القسم.....
- 1.5.3 القسم لغةً واصطلاحاً.....

المحتوى

..... 2.5.3 الغرض من القسم

..... 3.5.3 أدوات القسم

..... 6.3 الخاتمة

..... المراجع

الملخص

الأساليب النحويّة في تفسير الطّبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"

"دراسة تحليليّة في ضوء علم اللغة المعاصر"

ياسمين خلف الشواورة

جامعة مؤتة، 2011

تهدف هذه الدّراسة إلى بيان الفكر النّحويّ للطّبريّ في الأساليب النّحويّة، الخبريّة والإنشائيّة، من خلال تفسيره "جامع البيان" وبيان مذهبه النّحوي، ومصادره وذكر شيوخه وتلامذته، وموافقته أو مخالفته للنّحاة في الأساليب الخبريّة والإنشائيّة وإبراز شخصيته في الآراء التي تفرّد بها.

وجاءت الرّسالة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه حياة الطّبري من حيث: اسمه ومولده، ونسبه، ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته، وموقفه من البصريين والكوفيين، والمنهج النّحوي الذي اتّبعه، وآراؤه النّحوية.

أما الفصل الثّاني: "الأساليب النّحويّة الإنشائيّة"، فقد تضمن هذا الفصل سبعة مباحث، وهي: (الاستفهام، والتّعجب، والإغراء، والنّداء، والنّدبة، والأمر، والنّهي) وذكرت فيه آراء النّحاة القدماء والمحدثين في ضوء علم اللغة المعاصر ورأي الطّبري والمفسرين في المسائل التي تناولتها الدّراسة.

أما الفصل الثّالث: "الأساليب النّحويّة الخبريّة"، فقد تضمن هذا الفصل خمسة مباحث، وهي: (النّفي، والتّوكيد، والاستثناء، والقسم، والشّرط). وتضمنت الخاتمة أهمّ النّتائج التي توصلت إليها الدّراسة.

Abstract

The syntactic styles in Al-Tabary interpretation "The gathering of plain speech from interpretation of the Quran verses"

The analytic study in the view of the contemporary linguistics

Yasmein Khalaf Al-Shawawreh

Mutah University, 2011

The aim of this study is to clarify the syntactic thought of Al-Tabary in the syntactic styles, the predicate, and the compositional styles, through his interpretation "The gathering of plain speech" "Jamea' Al-Bayan" in determining his syntactical ideology, his sources, his teachers, also the clarifying of his agreement or disagreement with the grammarians in the predicate and compositional styles or his uniqueness with some of them.

The dissertation has an introduction, three chapters and a conclusion, and the introduction includes a conversation about the importance of the topic, the reason of choosing it, and the followed method in this study.

The First chapter: it deals with Al-Tabary's life in terms of : his name , his birth, his Lineage, his early life, his sheiks, his students, his books, his attitude towards Basri and Kufi' point of view, the syntactical method that he chose it, and the scientists' sayings about him until his death.

The second chapter: "the syntactical styles of the compositional sentence ", this chapter includes seven sections: (the interrogation, the exclamation, the temptation, the call and the elegy, the order and the prohibition) in terms of: the definition, the methods, the tools, the views of the ancient grammarians a, the talkers and the views of Al-Tabary and some of the interpreters.

The third chapter: "The syntactic styles of the predicate sentence", this chapter includes five subjects: (the negative, the emphasis, the exception, the oath, and the condition) in terms of: the definition, the styles, the tools, the views of the ancient grammarians, the talkers and the views of Al-Tabary and some of interpreters.

The conclusion includes the most important results that the study achieved it

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، ونتضرّع إليه أن يلهمنا الصّواب والتّوفيق، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، والصّلاة والسلام على خير من نطق العربيّة بلسان عربي مبين، لا ينطق عن الهوى، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد نشأت الدراسات اللغويّة عند العرب متصلة بالقرآن، فكان هو المحور الذي دارت عليه معظم الدراسات بفروعها المختلفة، واتسمت الدراسات النحويّة التي شاعت في كتب التفسير بغناها وعمقها وشموليتها لكثير من مسائل اللغة العربيّة، وهذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن جانب مهم من المسائل اللغويّة في واحدٍ من أهم التفسير، وهو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الفقيه والمؤرخ والنحوي "أبي جعفر محمد بن جرير الطّبري".

ذاع صيت الطّبري واشتهر في كل فن من الفنون التي عرفها علماء القرن الثالث الهجري، ولكنه على الرغم من تلك الشهرة لم يُعرف في اللغة والنحو في نظر علماء العربية، فلم يعرف -عند المتأخرين خاصة، أنه نحويّ له مكانته النحويّة، وله آراء ومواقف ذات قيمة علميّة، تستحق الدّراسة، وله عقليّة نحويّة تستحق أن تكون مادة لدراسة رسالة علميّة. وبعد أن اطلعت على جزء من تفسيره وجدت أنه زاخرٌ بالآراء النحويّة خاصة في ما يتعلق بالأساليب النحويّة كأسلوب التعجب، والإغراء... الخ.

وعلى الرغم مما للأساليب النحويّة من أهميّة، وسعة في التداول بين الألسن لم تتلّ من الدّرس ما نالته الموضوعات النحويّة الأخرى، ومن هنا هدف البحث إلى الكشف عن الأساليب النحويّة في تفسير الطّبري، ودراستها دراسةً تقوم على تتبع هذه الأساليب وتحليلها، وبيان آراء الطّبري فيها قياساً بما قاله غيره من النّحاة والمفسرين في هذه المسائل، في محاولة للتعرف إلى آراء الطّبري والكشف عن جهوده النحويّة واللغويّة، وأثرها في توجيه المعنى، ومن هنا تكمن أهميّة الدّراسة، في أنّها تحاول أن تثبت أن الطّبري إلى جانب كونه فقيهاً ومؤرخاً، فهو مفكر نحويّ ربط النحو بالمعنى ما أمكن في القرآن الكريم.

أمّا عن منهج الدراسة، فقد انتهجت منهجاً وصفيّاً تحليليّاً، يقوم على رصد الأساليب النحويّة في تفسير الطّبري، وتحليلها ودراستها، ومحاولة الكشف عن مدى التّوافق بين ما أصله النّحاة من قواعد في هذه الأساليب، وبين ما هو مستعمل في واقع الأداء اللغوي، كما جاء في تفسير الطّبري. وقد جاءت الرّسالة في ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: خصّصته لترجمة الطّبري، اسمه، ومولده، ونسبه، كما تحدثت عن شيوخه وتلاميذه، وأهم مصنّفاته، ومصادره اللغويّة ومذهبه النحوي الذي اتبعه وذلك من خلال تتبع آراء الطّبري المطابقة والمخالفة للبصريين والكوفيين، والآراء النحويّة التي انفرد بها.

الفصل الثاني: وخصّصته للأساليب النحويّة الإنشائيّة، ويندرج تحت هذا الفصل سبعة مباحث.

الأول: تناولت فيه أسلوب الاستفهام: (لغة واصطلاحاً عند القدماء والمحدثين)، وأدوات الاستفهام، والمعاني التي خرجت إليها هذه الأدوات، وبيان آراء النحاة الأوائل والمحدثين فيها، وإيراز رأي الطّبري من خلال الآيات القرآنيّة في تفسيره، وبحثت في أسلوب الاستفهام من وجهة نظر علماء اللغة المعاصرين.

الثاني: تضمّن أسلوب التعجب (لغة واصطلاحاً)، وأهم الأدوات التي استعملت لتأديّة معنى التعجب التي ذكرها الطّبري في معرض تأويله لآيات القرآن الكريم، وبيان آراء النحاة القدماء والمحدثين والمفسرين فيها.

الثالث: اشتمل على دراسة أسلوب الإغراء (لغة واصطلاحاً)، وأساليب الإغراء في العربيّة، وأساليب الإغراء التي ذكرها الطّبري في تفسيره، فالإغراء عنده يأتي بالحروف، والظروف، وذكرت كذلك الآيات التي استشهد بها الطّبري على أسلوب الإغراء، ومقارنة رأي الطّبري مع آراء النحاة والمفسرين.

الرابع: اشتمل على أسلوب النداء، وتناولت فيه تعريف أسلوب النداء وأدواته وأقسام المنادى وحكمه عند القدماء والمحدثين وعند الطّبري، وكذلك تناولت حذف حرف النداء، ورأي الطّبري والنحاة في هذه المسألة.

الخامس: اشتمل على أسلوب الندبة فعرفته (لغة واصطلاحاً) وذكرت الآيات التي استشهد بها الطّبري على هذا الأسلوب. مقارنةً بين رأيه وآراء النحاة والمفسرين الآخرين.

السادس: أسلوب الأمر تعريفاً (لغة واصطلاحاً) وأهم أدوات الأمر، والمعاني التي خرجت إليها هذه الأدوات وبيان رأي الطّبري، وآراء النحاة القدماء والمعاصرين.

السابع: فقد اشتمل على أسلوب النهي بوصفه واحداً من الأساليب النحويّة ذات الجملة الإنشائيّة، فعرفت هذا الأسلوب (لغة واصطلاحاً)، وأدوات النهي، والمعاني البلاغيّة والنحويّة التي خرجت إليها هذه الأدوات في القرآن الكريم، مبيّنة آراء النحاة القدماء والمحدثين ورأي الطّبري والمفسرين الآخرين في خروج النهي عن المعنى اللغوي الذي وضع له.

الفصل الثالث: وخصصته للأساليب النحويّة الخبريّة التي تناولها الطّبري في

تفسيره واشتمل هذا الفصل على خمسة مباحث، هي:

الأول: عرضت فيه أسلوب النفي واحداً من الأساليب اللغويّة ذات الجملة الخبريّة مفهوماً (لغةً واصطلاحاً)، وأدوات النفي التي تخص الأفعال، والأدوات التي تخص الأسماء، والأدوات التي تخص الأفعال والأسماء، ووقفت عند هذه الأدوات التي تطرق إليها الطّبري وبنيت رأيه وآراء النحاة القدماء والمحدثين من خلال علم اللغة المعاصر.

الثاني: اشتمل على أسلوب التّوكيد تناولت تعريفه (لغةً واصطلاحاً)، ووظائفه وأقسامه، التّوكيد بالتكرار ويشمل: التّوكيد اللفظي، والمعنوي والتّوكيد بالأنواع الملحقة بالتكرار، والتّوكيد بالأدوات مثل "اللام الابتدائيّة، واللام الموطئة للقسم" وكذلك التّوكيد بالأدوات الزائدة مثل (لا، ما) والتّوكيد بنوني التّوكيد الخفيفة والثقيلة، وذكر الشواهد القرآنيّة التي ذكرها الطّبري، وبيان آراء النحاة والمفسرين في هذه الشواهد، وآراء النحاة القدماء والمحدثين فيها.

الثالث: وضمَّ أسلوب الاستثناء تعريفاً (لغةً واصطلاحاً) وعناصر التركيب الاستثنائي، وأنواع الاستثناء، ورأي الطبري في الآيات القرآنية التي ورد فيها الاستثناء بأنواعه وبيان آراء النحاة والمفسرين لها.

الرابع: تضمن أسلوب الشرط وبينت فيه مفهوم هذا الأسلوب وأدواته وأنواعه والمعاني النحوية والبلاغية التي خرجت إليها أدوات الشرط، مع ذكر الشواهد القرآنية والشعرية التي استشهد بها الطبري في معرض تأويله لآيات القرآن الكريم، وبيان آراء النحاة القدماء والمحدثين وآراء المفسرين في هذه المسائل.

أما الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وأخيراً فهذا جهد من حاول أن يجتهد، وحسبه من ذلك نصيب المجتهد من خطأ أو صواب، أحتسبه لوجهه الكريم.

الفصل الأول ترجمة حياته وآراؤه النحوية

1.1 اسمه ونسبه ونشأته:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، واتفق المؤرخون على اسمه واسم أبيه، ولكنهم اختلفوا في اسم جدّه، فذكر ابن الجوزي أنّ جدّه (كثير) لا (يزيد). وذهب جمهور المؤرخين والمحققين إلى أنّ اسم والد جدّه هو كثير بن غالب، وهو رأي الخطيب البغدادي، وياقوت الحموي، وتاج الدين السبكي، والنوّي، والذهبي، وابن كثير، والقفطي ومن تبعهم⁽¹⁾.

وذهب ابن خلكان إلى أنّ والد جدّه هو خالد، وضعّف ابن خلكان القول الأول⁽²⁾.

على أنّ الطّبري نفسه اعتبر ذلك ثانوياً، وكان إذا سئل عن اسمه ونسبه قال: اسمي محمد بن جرير، فقال له السائل: زدنا في النسب؟ فرفض وأجابه بجوابٍ فصّل، متمثلاً قول الشاعر روبة بن العجاج⁽³⁾:

قد رفع العجاج ذكري فادعني باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

كنيته ونسبه:

ويكنى الطّبري بأبي جعفر وعُرف بذلك، واتفق المؤرخون عليه، ولم يكن له ولد اسمه جعفر؛ لأنّه لم يتزوج أصلاً، ولكن هناك من يرى أنّ الطّبري تكنى بأبي

(1) السبكي، عبد الوهاب (ت: 771هـ)، (د.ت.)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود

الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دون ناشر، القاهرة، مصر: 123-121/3.

(2) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: 681هـ)، (د.ت.)، وفيات الأعيان

وأبناء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد 4، ص 191.

(3) العجاج، روبة، (1971)، ديوان العجاج، تحقيق عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس، دمشق،

سوريا، ص 82.

جعفر التزاماً بأداب الشرع وسنة الرسول بإطلاق الكنيّة على أصحابه، وأطفال الصحابة وشبابهم وترغيب المسلمين باتخاذ الكنيّة للصّبّي قبل أن يولد للرجل⁽¹⁾. أمّا نسبه فلا خلاف فيه، فالطّبري ينسب إلى طبرستان وهي ولاية كبيرة، وناحية واسعة الأرجاء في بلاد فارس بين جرجان والديلم على بحر قزوين، وتضم قرى كثيرة ينسب أهلها غالباً إليها⁽²⁾.

كما ينسب الطّبري نسبة أخرى فيقال له الآملي؛ نسبة إلى بلدة آمل التي ولد بها، وللطبري نسبة ثالثة وهي البغدادي نسبة إلى بغداد التي سكنها واستوطن فيها⁽³⁾.

ولادة الطّبري ونشأته:

ولد الطّبري في مدينة آمل من أعمال طبرستان، وأكبر مدينة فيها، وهذا باتفاق المؤرخين⁽⁴⁾.

وكانت ولادته سنة (224هـ / 839م) على الأرجح، وقيل إنه ولد في سنة (225هـ / 840م) ولعله ولد في آخر سنة (224هـ) أو أول سنة (225هـ)⁽⁵⁾. ونشأ الطّبري بآمل وتربى في أحضان والده، وغمره برعايته، ولمس فيه النباهة والذكاء، والرغبة في العلم، فوجّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم؛ كما هي عادة المسلمين في مناهج التربيّة الإسلاميّة⁽⁶⁾.

2.1 شيوخه وتلامذته:

بعد أن استوعب الطّبري علوم بلده، بدأ الرحلة في طلب العلم سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فجاب الآفاق، وانتقل من بلدٍ إلى بلد،

(1) الزحيلي، محمد، (1990)، الإمام الطّبري، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، ص22.

(2) المرجع نفسه، ص22.

(3) السبكي، طبقات الشافعيّة الكبرى: 118/3.

(4) الحموي، ياقوت، (د.ت)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: 49/1.

(5) الزحيلي، الإمام الطّبري، ص33.

(6) الحموي، معجم الأدباء: 49/18.

وقد بدأ رحلته العلميّة إلى البلاد المجاورة له في بلاد فارس ليأخذ من علمائها الحديث واللغة والتاريخ والتفسير⁽¹⁾.

لقد تنقل الطّبري بين كثير من بلدان العالم العربي، وأخذ عن الكثير من علمائها في مختلف العلوم، وقد تناثرت أسماء هؤلاء الأعلام الذين أخذ عنهم بين دفات كتب التراجم.

قال ابن كامل: "أول ما كتب الحديث ببلده ثم بالريّ وما جاورها، وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم، وأكثر من محمد بن حميد الرّازي ومن المثنيّ ابن إبراهيم الأبلّي وغيرهما⁽²⁾".

وحدّث الطّبري نفسه فقال: "كنا نكتب عن محمد بن حميد الرّازي فيخرج إلينا في الليل مرات، ويسألنا عما نسيناه، ويقرؤه علينا"، وقال: "وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدّولابي وكان في قرية من قرى الرّيّ بينها وبين الرّيّ قطعة، ثم نغدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه"⁽³⁾.

ثمّ بدأت أحلامه بالتوسع وازداد حبه للعلم؛ فتوجه إلى العراق رغبةً في الحصول على العلم من علماء الأمصار المختلفة، ويمّم وجهه إلى بغداد للالتقاء بالإمام أحمد بن حنبل، ولكن المنية عاجلت الإمام أحمد بن حنبل فتوفي قبل أن يصله أبو جعفر، فاتجه إلى البصرة وتلقى العلم من شيوخها، كمحمد بن موسى الحرشي وعماد بن موسى العزّاز، ومحمد بن عبد الأعلى، وغيرهم، ثم توجه إلى حاضرة الدولة الأمويّة وكانت موئل العلماء، ومقصد الباحثين والرحالة، والتقى عدداً من علمائها⁽⁴⁾.

(1) العسقلاني، ابن حجر (ت: 852هـ-)، (1988)، لسان الميزان، دار الفكر، بيروت، لبنان: 496/5.

(2) السبكي، طبقات الشافعيّة الكبرى: 120/3.

(3) الحموي، معجم الأدباء: 49/18.

(4) المرجع نفسه: 51/18.

ثم انتقل الطّبري إلى مصر التي كانت غنيّة بعلمائها ثريّة بخيراتها وعطائها، مما دفعه إلى ترك الشام، والانتقال إلى مصر ليتلقى العلم فيها، فالتقى بشيوخها كيونس بن عبد الأعلى الصدقي، وأخذ عنه قراءة حمزة وورش، وأبي الحسن علي ابن السّراج المصري، فقد كان الأخير موجوداً في مصر وقت دخول الطّبري إليها فتعرّف إلى الطّبري وبان له فضله في علم اللغة⁽¹⁾.

3.1 مصنفاته:

لم يقتصر الطّبري على علم واحد، بل جمع مختلف العلوم الشرعيّة واللغويّة وغيرها، وكان إماماً فيها. فكان -رحمه الله- إماماً في السنّة وعلوم الحديث، وعدّه النووي -رحمه الله- من طبقة الترمذي والنسائي. وكان إماماً في القراءات، وعلوم القرآن، فحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم جمع القراءات واختار لنفسه قراءة، وصنف في القراءات ودرس التفسير بتعمّق، وصنّف تفسير القرآن "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" الذي ضمّ فيه علوم القرآن المختلفة حتى عدّ إمام المفسرين أو شيخ المفسرين.

وكان الطّبري إماماً في اللغة وعلم الخلاف والفقّه المقارن، فكان من الأئمة المجتهدين، وصاحب مذهب مستقل في التفسير وتبعه بعض الناس في مذهبه. ويعتبر الطّبري كذلك إماماً في علم التاريخ، وهو شيخ المؤرخين وصنف كتابه العظيم "تاريخ الرسل والملوك" وكتابه "تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين إلى شيوخه" المعروف بـ"ذيل المذيل" وغيرهما من الكتب⁽²⁾.

وكان كذلك مبرزاً في علوم العربيّة من المعاني واللغة والنحو والصرف والعروض والبيان، وكان عالماً بالفلسفة، والمنطق، والجدل، وكان فصيح اللسان وله نظمٌ وشعر⁽³⁾.

(1) أمين، أحمد، (1969)، ظهر الإسلام، ط3، دون ناشر، بيروت، لبنان: 208/1.

(2) الحموي، معجم الأدباء: 51/18.

(3) الحموي، معجم البلدان: 51/18.

ومن أهم الكتب التي خلفها الطّبري وذكرها علماء التاريخ والتراجم في سيرة الطّبري، ونكتفي بذكرها تعداداً⁽¹⁾:

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ"تفسير الطّبري" وهو موضوع الدراسة، وطبع عدة مرات.
2. تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطّبري.
3. كتاب ذيل المذيل، طُبع منه جزء.
4. اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.
5. الخفيف في أحكام شرائع الإسلام.
6. بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام.
7. آداب القضاة.
8. صريح السنة.
9. مختصر الفرائض.
10. الرسالة في أصول الفقه.
11. كتاب المسترشد.
12. الموجز في الأصول.
13. فضائل أبي بكر وعمر.
14. البصير في معالم الدين.
15. الرد على ذي الأسفار.
16. مسند ابن عباس.
17. لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام.
18. كتاب القراءات وتنزيل القرآن.
19. فضائل علي بن أبي طالب.

(1) ابن كثير، الحافظ (ت: 774هـ)، (د.ت)، البدايئة والنهايئة، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان: 148-145/11.

4.1 وفاته:

عاش الطّبري ستة وثمانين عاماً، قضاهما في سبيل العلم ونشره، وبقي مستوطناً في بغداد، عاصمة الدولة العباسيّة، يؤدي رسالته ويلتف حوله الطلاب، والعلماء حتى أسلم روحه إلى بارئها يوم (26/شوال/ 310هـ، 923م)، وذلك في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودفن الطّبري في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد⁽¹⁾.

وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ وفاته كانت سنة (311هـ) أو (316هـ)، واختلفوا في يوم وفاته، فذكر الخطيب البغدادي، وغيره أنه توفي يوم السبت (26/شوال/310هـ) ودفن يوم الأحد بالفداه⁽²⁾.

وأجمع العلماء على أنّ وفاة الطّبري كانت ببغداد، وأنّه دفن فيها، ولكن ابن خلكان قد فند هذا الزعم، فقال: إنّ رأي بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار، وعند رأسه حجر مكتوب عليه "هذا قبر ابن جرير الطّبري" والناس يقولون إنّ صاحب التاريخ المشهور، ثم قال ابن خلكان جازماً: إنّ هذا ليس صحيحاً، بل الصحيح أنه دفن ببغداد⁽³⁾.

5.1 مذهبه النّحوي:

لكي نكون دقيقين في نسبة الطّبري إلى مذهب معين علينا أن نستعرض بعضاً من المسائل الخلافيّة الواردة في تفسيره، وننبين موقفه في كل مسألة منها، ونوازن بين موقفه من كلا المذهبين.

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 312/3.

(2) المرجع نفسه: 332/3.

(3) المرجع نفسه: 332/3.

1.5.1 موقفه من الكوفيين:

رَجَّح الطَّبْرِي مذهب الكوفيين في مسائل عديدة من مسائل الخلاف النحوي، التي ذكرها في تفسيره بين البصريين والكوفيين، وسأذكر أمثلة في هذه المسائل توضح ترجيحه وميله إلى مذهب الكوفيين، من ذلك:

1. نصب "رفيقاً" في قوله تعالى: ﴿ Z Y ﴾⁽¹⁾، قال الطَّبْرِي:

"وأما نصب "الرفيق" فإنَّ أهل العربيَّة مختلفون فيه، فكان بعض نحوي البصرة يرى أنَّه منصوب على الحال، ويقول هو كقول الرجل: كرم زيد رجلاً، ويعدل به عن معنى: نعم الرجل، ويقول: أن نعم لا تقع إلا على اسم فيه ألف ولام أو على نكرة، وكان بعض نحوي الكوفة يرى أنه منصوب على التفسير، وينكر أن يكون حالاً، ويستشهد على ذلك بأن العرب تقول: "كرم زيد من رجل"، و"حسن أولئك من رفقاء"، وأن دخول "من" دلالة على أن الرفيق مفسرة، قال: وقد حكى عن العرب: نعمتم رجلاً فذل على أن ذلك نظير قوله: وحسنتم رفقاء.

وهذا القول أولى بالصواب للعلة التي ذكرنا لقائله⁽²⁾.

2. ومن أمثلة ترجيحه مذهب الكوفيين ما نقل من الخلاف في نصب "فئتين" من

قوله تعالى: ﴿ 9 876 ﴾⁽³⁾، قال بعضهم: هو منصوب على

الحال، كما تقول مالك قائماً، يعني: مالك في حال القيام، وهذا قول بعض البصريين أمَّا بعض نحوي الكوفة فقالوا: هو منصوب على فعل "مالك"، قال "ولا يبالي" كان المنصوب في "مالك" معرفة أو نكرة، قال: ويجوز في الكلام أن يقول: مالك السائر معنا، لأنَّه كالفعل الذي ينصب بـ"كان" وأظن وما أشبههما، قال: وكل موضع صلحت فيه "فَعَلَ وَيَفْعَلُ" من المنصوب جاز

(1) سورة النساء، الآية: 69.

(2) الطَّبْرِي، محمد بن جرير (ت: 310هـ-)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر: 103/5.

(3) سورة النساء، الآية: 88.

نصب المعرفة منه والنكرة، كما وينصب كان وأظن لأنَّهن نواقص في المعنى، وإن ظننت أنَّهن تامات، وهذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأنَّ المطلوب في قول القائل: مالك قائماً "القيام" فهو في مذهب كان وأخواتها وأظن وصواحباتها"⁽¹⁾.

وترجيح الطبري رأي بعض الكوفيين هو من باب متابعتهم مذهبهم، وكثيراً ما يعزز ترجيحه آراء الكوفيين بذكر الحجج والأدلة التي تصح تلك الآراء، ومن ذلك ما نقله في موضع جواب القسم، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿! # \$﴾⁽²⁾، اختلف أهل العربية في موضع جواب هذا القسم، فقال بعض نحويي

البصرة: ق والقرآن المجيد قسم على قوله ﴿; = < > ? @﴾⁽³⁾. وقال بعض نحويي أهل الكوفة: فيها المعنى الذي أقسم به، وقال ذكر أنها قضى والله، وقال: يقال أن "قاف" جبل محيط بالأرض، فإن يكن فكأنه في موضع رفع، أي: هو قاف والله، قال وكان ينبغي لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء، قال: ولعل القاف وحدها ذكرت.

وهذا القول الثاني عندنا أولى القولين بالصواب، لأنه لا يعرف في أجوبة الإيمان "قد" وإنما تجاب الإيمان إذا أُجيبَت بأحد الحروف اللام وإن وما ولا، أو يترك جوابها فيكون ساقطاً⁽⁴⁾.

كما نرى الطبري ينقل رأي كل فريق من المذهبيين بإيراد شواهدهم، ثم يرجح رأي الكوفيين ويعقب على تعليقاتهم، كما نجده عند تعرضه لإعراب كلمات من القرآن الكريم، يتابع الكوفيين في آرائهم ويرى رأيهم، ومن أمثله ذلك:

(1) الطبري، جامع البيان: 123/2.

(2) سورة ق، الآية: 1.

(3) سورة ق، الآية: 4.

(4) الطبري، جامع البيان: 155/2.

الضمير في إياك:

ذهب الطبري إلى أن الكاف التي مع "إيا" هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل، وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل، وإيا أتى بها صلة لتعتمد عليها الكاف⁽¹⁾. وما ذكره الطبري هو رأي الفراء⁽²⁾.

2.5.1 استعماله مصطلحات الكوفيين:

لقد أكثر الطبري من استخدام المصطلحات النحوية الكوفية مقارنةً مع المصطلحات النحوية البصرية، ومنها:

1. **التقريب:** وهو مصطلح كوفي لم يقل به البصريون، وقد ذكره الطبري في

تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ ± 2 ﴾⁽³⁾، "ب" أدخلت "ها" في موضعين؛ لأنَّ العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنى بين "ها" وبين "ذا"، فقالت: ها أنت ذا قائماً، لأنَّ التقريب جواب الكلام، فربما أعادت "ها" مع "ذا"، وربما اجتزأت بالأولى وقد حُذفت الثانية، ولا يقدمون "أنتم" قبل "ها"، لأنَّ "ها" جواب فلا تقرَّب بها بعد الكلمة⁽⁴⁾.

2. **الصرف:** وهو مصطلح كوفي، لم يقل به البصريون، وقد أورده الطبري في

مواضع مختلفة من تفسيره، ومن ذلك ما أورده وهو يتحدث عن تفسير قوله تعالى: ﴿ g f e d c b ﴾⁽⁵⁾، فقال: "وتكنموا منصوباً، لانصرافه عن معنى قوله "ولا تلبسوا الحق بالباطل" إذا كان قوله "ولا تلبسوا نهياً، وقوله "وتكنموا الحق" خبراً معطوفاً عليه غير جائز أن يعاد

(1) الطبري، جامع البيان: 54/1.

(2) الفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ)، (د.ت)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الدار المصرية، القاهرة، مصر: 213/1.

(3) سورة محمد، الآية: 38.

(4) الطبري، جامع البيان: 41/3.

(5) سورة البقرة، الآية: 42.

عليه ما عمل في قوله "تلبسوا" من لاحرف الجازم وذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون صرفاً⁽¹⁾.

3. **التفسير:** وهو التمييز، قال السيوطي "التمييز" ويقال له المميز والتبين والمبين والتفسير والمفسر⁽²⁾، وذكره الطبري عندما قال: "وإنما نصب قوله ﴿ H G F E D C B ﴾⁽³⁾، على نحو ما تنصب به (التكرمة) في قولك: زرت تكرمةً لك، تريد بذلك من أجل تكرمته، وكما قال

جل ثناؤه: ﴿ 3/4 1/2 نغ ﴾⁽⁴⁾، على التفسير للفعل.

4. **الجد:** يقابله عند البصريين "النفي"، وقد ذكره الطبري في تفسيره كثيراً بينما لم يكثر من مصطلح النفي، ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ A @ ? ﴾⁽⁵⁾، حيث قال: "لو كان كما قال الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ أن يُقال: ولا الضالين" لأنَّ (لا) نفي وجد ولا يعطف إلا بجد على جد.

5. **الخفض:** ويقابله عند البصريين الجر⁽⁶⁾، وقد استعمله الطبري كثيراً، ولم يستعمل مصطلح الجر إلا قليلاً، ومن أمثلة استعماله مصطلح الخفض ما قاله في تفسيره قوله تعالى: ﴿ A @ ? ﴾⁽⁷⁾، حيث قال: "القراء مجمعة

(1) الطبري، جامع البيان: 202/1.

(2) السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، (د.ت)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط2، تحقيق: عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت: 62/4.

(3) سورة البقرة، الآية: 19.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 90.

(5) سورة الفاتحة، الآية: 7.

(6) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت: 180هـ)، (1991)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان: 209/1.

(7) سورة الفاتحة، الآية: 7.

على قراءة "غير" بجر الراء والخفض بأنها من وجهين، أحدهما: أن يكون "غير" صفة للذين ونعتاً لهم فتخفضها إذا كان "الذين" خفضاً" (1).

6. ما لم يسم فاعله: وهو المبني للمجهول، ويسميهِ سيبويه: "المفعول الذي تعده فعله إلى مفعول" (2)، وأورد الطبري مصطلح "ما لم يسم فاعله" في تفسيره كثيراً، من ذلك ما قاله في تفسيره قوله تعالى: ﴿ ۱ ۝ ۱ ﴾ «

1/4 ﴿ 3 ﴾: قرأ ذلك عامة القراء بضم النون وتثقيل الزاي وتشديدها، على وجه ما لم يسم فاعله" (4).

ومن الأدلة على ميله إلى المذهب الكوفي أنه كان يكثر النقل عن الفراء، وقد يقول أحياناً: "أنشدني أصحابنا عن الفراء" (5).

والذي يؤكد لنا هذا الميل أنه تلميذ لأبي العباس ثعلب، فقد ذكر عنه أنه قال: "قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة"، وقد نعته ثعلب بأنه من حذاق الكوفيين" (6).

3.5.1 مخالفته لمذهب الكوفيين:

على الرغم من أن الطبري كوفي المذهب نراه يخالفهم في مسائل رجح فيها مذهب البصريين، ومسائل أخرى خالف فيها الفريقيين، ومن نماذج ما نقله من آراء للكوفيين ثم خالفهم فيها:

1. مخالفته الفراء في إعراب "بئر وقصر" من قوله تعالى: ﴿ ۱ ۝ ۱ ﴾

۲ ± ° - ® - « a © ..

(1) الطبري، جامع البيان: 59/1.

(2) سيبويه، الكتاب: 19/1.

(3) سورة النساء، الآية: 140.

(4) الطبري، جامع البيان: 212/5.

(5) المرجع نفسه: 213/7.

(6) الحموي، معجم الأدباء: 60/18.

3﴿(1)، قال الطَّبْرِي: "البئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية:

وقال بعض نحوي الكوفة، هما معطوفان على العروش بالعطف عليها
خفضاً"﴿(2).

2. كما خالف الكوفيين في إعراب قوله تعالى: ﴿ - / O ﴾﴿(3)،

حيث قال بعد أن رجح قراءة "فرقناه" بتخفيف الراء، بمعنى: أحكمناه
وفصلناه وبيناه: فتأويل الكلام: وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً وفصلناه وبيناه
وأحكمناه لتقرأه على الناس على مكث"﴿(4).

ثم نقل كلام بعض نحوي الكوفة فقال: وكان بعض أهل العربية من أهل
الكوفة يقول: نصب قوله "وقرآنا"، بمعنى ورحمة، ويتأول ذلك: وما أرسلناك إلا
مبشراً ونذيراً ورحمة، ويقول: جاز ذلك لأن القرآن رحمة، وقال الطَّبْرِي: ونصبه
على الوجه الذي قلناه أولى وذلك كما قال جل ثناؤه: ﴿ 3/4 ن أ ﴾﴿(5).

لا شك أن اعتراض الطَّبْرِي على بعض آراء الكوفيين يدل على عمق فهم
الطَّبْرِي واستقلال فكره النحوي، فهو يخالف شيوخ الكوفيين إذ رأى الصواب في
مخالفتهم، بل ويرد آراءهم ويخطئهم، ثم يأتي بالدليل الذي يعزز رأيه.

4.5.1 موقفه من البصريين:

لقد خالف الطَّبْرِي البصريين في مسائل كثيرة ورجح مذهبهم في مسائل
قليلة، وقد يورد رأي بعض البصريين للاستشهاد تصديقاً لما يراه من توجيهه أو
معنى ومن أمثلة ذلك، ما قاله في قوله تعالى: ﴿ K J I H ﴾﴿(6)، قال

(1) سورة الحج، الآية: 45.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 127/17.

(3) سورة الإسراء، الآية: 106.

(4) الطَّبْرِي، جامع البيان: 118/15.

(5) سورة يس، الآية: 39.

(6) سورة البقرة، الآية: 9.

بعض المنسوبيين إلى العلم بلغات العرب إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة أعني "يخادع" بصورة "يفاعل" وهو بمعنى "يفعل" في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب، نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى: قتلك الله وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون إلا من اثنين كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كلام العرب، وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول: لا تكون المفاعلة إلا من شيئين⁽¹⁾.

والطبري على صواب في متابعته أهل البصرة، فأكثر ما تكون "فاعل" لمعنى المشاركة، ولا يصح حملها على الشاذ من منطق العرب وإهمال الشائع من كلامهم، وقد أوضح الطبري تأويل هذه المشاركة بين المنافقين وبين الله سبحانه وتعالى، فقال: إن المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه، والله خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة⁽²⁾.

5.5.1 الآراء التي خالف فيها البصريين والكوفيين:

رأينا في ما مضى من مواقف الطبري النحوية أنه يميل إلى مذهب الكوفيين في ترجيحاته وتعليقاته، ورأينا أنه قد يرجح آراء البصريين في بعض المسائل، وهنا نريد أن نبين آراءه التي خالف فيها المذهبين، فهو في مثل هذه الحال يذكر رأي كل فريق، ثم يقدم رأياً مخالفاً للفريقين ويدعم رأيه بالأدلة والبراهين. منها ما يتصل بالإعراب ومنها ما يتعلق بمسائل نحوية متفرقة، أما ما يتصل بالإعراب من ذلك:

آراؤه فيما يتصل بالإعراب، منها:

1. قوله تعالى: ﴿اَءَنتُمْ اَلَّذِينَ اَنزَلْتُمُوهُنَّ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ حَاسِقٍ فَاَصْبَحْنَ كَالْعُرَاقِ اَلَّذِي سَقَا بَنِي اِسْرٰٓءٰٓءَٓلَٓٓٓ﴾⁽³⁾، قال الطبري:

"اختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى: "إلا بحبل من الله وحبل من الناس" فقال بعض نحوي الكوفة: الذي جلب الباء في قوله

(1) الطبري، جامع البيان: 92/1.

(2) المرجع نفسه: 92/1.

(3) سورة آل عمران، الآية: 112.

تعالى "بحبل" فعل مضمر قد ترك ذكره، قال ومعنى الكلام: ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله فأضمر ذلك.

وقال بعض نحويي البصرة: قوله "إلا بحبل من الله" استثناء خارج من أول

الكلام، قال: وليس ذلك بأشدّ من قوله: ﴿أَعْرَابًا﴾⁽¹⁾.

وقال آخرون من نحويي الكوفة: هو استثناء متصل، والمعنى ضربت عليهم

الذلة أينما تقفوا، أي بكل مكان إلا بموضع حبل من الله.

والطبري في هذه المسألة يضعف ما نقله عن بعض الكوفيين، الذي أوجب

إعمال فعل محذوف، كما يضعف قول الآخر الذي قال: إنه استثناء متصل.

ثم ينفرد برأي يدعمه بالحجة والدليل، وهو في هذا الرأي يتابع بعض

البصريين في نوع الاستثناء أنه منقطع، ولكنه خالفهم في تعليل دخول الباء على

"حبل" فذهب إلى أن المعنى اقتضى ذلك⁽²⁾.

6.5.1 آراؤه فيما يتعلق في مسائل نحوية متفرقة، منها:

حذف القول:

نقل الطبري الخلاف في دخول ألف الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَعْرَابًا﴾

⁽³⁾، فذكر عن بعض نحويي البصرة أنه قال: "أدخلت فيه على الحكاية لقولهم،

لأنهم قالوا: أسحر هذا؟ فقال: أتقولون أسحر هذا؟ ونقل عن بعض نحويي الكوفة

قوله: "أنهم قالوا هذا سحر ولم يقولوه بالألف؛ لأن أكثر ما جاء بغير ألف، فيقال: فلم

أدخلت الألف فيقال: قد يجوز أن تكون من قبلهم وهم يعلمون أنه سحر، كما يقول

الرجل للحائرة إذا أتته: أحق هذا؟ وقد علم أنه حق، وقد يجوز أن تكون على

التعجب منهم: أسحر هذا ما أعظمه، ثم رأى أبو جعفر رأياً مخالفاً لما ذكره من

آراء العلماء، فقال: وأولى ذلك بالصواب عندي أن يكون القول محذوفاً ويكون قوله:

(1) سورة مريم، الآية: 62.

(2) الطبري، جامع البيان: 32/4-33.

(3) سورة يونس، الآية: 77.

"أسحر هذا" من قبل موسى منكرًا على فرعون وملئه قولهم الحق لما جاءهم سحر، فيكون تأويل الكلام: قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم.

أسحر هذا الحق الذي ترونه، فيكون السحر الأول محذوفًا اكتفاءً بدلالة قول موسى "أسحر هذا" على أنه مراد في الكلام⁽¹⁾.

والفرق بين ما يراه الطبري وما يراه النحاة الذين عرض آراءهم أنهم يرون أنها حكاية لقول فرعون وقومه، أما الطبري فيرى أنها حكاية لقول موسى، وهو ما نميل إليه، لأن الهمزة هنا للإنكار حكاية لموسى منكرًا على فرعون وقومه قولهم: إن الحق الذي جاءهم سحر، والمعنى على هذا يكون أتقولون للحق: سحر؟ أسحر هذا؟ فحذف كلمة "سحر" الأولى لدلالة ما ظهر عليه.

لقد تبين لنا مذهب الطبري النحوي، واتضح ميله للكوفيين من خلال ما قدمناه من أمثلة، وعلى الرغم من ذلك رأينا يرجح مذهب البصريين في عدد من المسائل، كما رأينا يستقل برأيه في كثير من الأحيان، وقد يرد على آراء الكوفيين. وهذا ما يؤكد عقلية الطبري النحوية المستقلة في توجيه إعراب آيات القرآن الكريم، وفي توجيه المسائل النحوية.

(1) الطبري، جامع البيان: 101/1.

الفصل الثاني الأساليب النحويّة الإنشائية

1.2 أسلوب الاستفهام:

1.1.2 الاستفهام لغةً واصطلاحاً:

المعاجم اللغويّة تشترك في الأصل اللغوي للاستفهام وهو "طلب الفهم" ففي معجم العين يذكر الفراهيدي (ت: 175هـ) "فهمت الشيء فهماً، عرفتُه وعقلت، وفهمت فلاناً، وأفهمته، ورجل فهيم سريع الفهم"⁽¹⁾.

وجاء في الصحاح للجوهري (ت: 393هـ) "فهمت الشيء فهماً، وفهاميّة، علمته وفلان فهم، وقد استفهمني الشيء فاهمته تفهيمياً، وتفهم الكلام، إذا فهمه شيئاً بعد شيء"⁽²⁾.

أما مفهوم الاستفهام اصطلاحاً فنجد أنّ سيبويه (ت: 180هـ) قد عرف الاستفهام بأنه "طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلًا عما سأله عنه"⁽³⁾.

وذهب إلى أنّ الاستفهام له الصدارة في الكلام، ولا يجوز تقدم شيء مما في حيزه عليه، فلا تقول "ضربت أزيد؟" وما أشبه ذلك، وهذه الصدارة من أجل أن تفيد فيه معنى الاستفهام، شأنها في ذلك شأن أدوات المعاني الأخرى، لأنّها إذا تقدم عليها شيء من الجملة فقدت الدلالة على معنى الاستفهام⁽⁴⁾.

ولم يبحث سيبويه زمن الفعل في الجملة الاستفهاميّة سوى الفعل المضارع الواقع بعد حرف الاستفهام "هل" إذ يرى أنّ الفعل المضارع الواقع بعد "هل" يدل

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 175هـ)، (1986)، العين، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، مادة فهم.

(2) الجوهري، أبو إسماعيل بن محمد (ت: 393هـ)، (1975)، الصحاح في اللغة، المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان، مادة (فهم).

(3) سيبويه، الكتاب: 228/2.

(4) المرجع نفسه: 169/3-170.

على الاستقبال لا على الحال، في حين أنّ الفعل المضارع بعد "الهمزة" قد يدل على الحال، فيقول: "إنّ هل ليست بمنزلة ألف الاستفهام، لأنك إذا قلت "هل تضرب زيداً؟"، فلا يكون أنّ تدعي أنّ الضرب واقع، وقد تقول: "أتضرب زيداً؟"، وأنت تدعي أنّ الضرب واقع⁽¹⁾.

أما ابن جني (ت: 392هـ) فقد قدّم صورة واضحة لعناية النحاة بنظم الكلام، وتأكيدهم ارتباط النحو بالمعاني، وبيّن أنّ الاستفهام عارض في الأسماء، فيقول: "الاستفهام عارض في الأسماء؛ لأنّ الاستفهام وما أشبهه للحروف في الأصل"⁽²⁾.

ويذكر من أسماء الاستفهام "من" و"كم" و"أي" و"كيف" و"متى" و"أين"، ويوضح أنّ هذه الأسماء بمنزلة "هذا" و"ذاك"⁽³⁾.

أما ابن فارس (ت: 395هـ) فقد تناول الاستفهام ضمن مجموعة الأساليب النحويّة التي تناولها في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" فقد تناول أساليب الخبر والإنشاء والاستفهام، والأمر، والنهي، والدعاء، والطلب، والعرض، والتحضيض، والتمني، والتعجب، وقد حدد مفهوم الاستفهام، على أنّه "طلب الفهم" وهو بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيّة كان استفهاماً، ففسر ذلك بقوله: "الاستخبار طلب ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام"⁽⁴⁾.

أما مفهوم الاستفهام عند النحاة المحدثين فلم يختلف كثيراً عما جاء به الأوائل، على الرغم من ذلك نجد بعض الإضافات وخاصة أولئك الذين تأثروا

(1) سيبويه، الكتاب: 175/1-176.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، (1986)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان: 81/3-82.

(3) المرجع نفسه: 83/1.

(4) ابن فارس، أبي الحسن أحمد (ت: 395هـ)، (1993)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربيّة في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ص196.

بالنظريات اللسانية الحديثة الغربية، فهذا خليل عمايرة يرى أنّ "الجملة هي: "الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه"⁽¹⁾.

ويقول: "وهذا المفهوم يتضمن الجملة النواة أو الجملة التوليدية، الاسمية والفعلية، ويتضمن كذلك الجملة التحويلية الاسمية، والفعلية، سواء أكان فيها عنصر تحويل واحد أم كانت تتضمن غير واحد من عناصر التحويل، وبهذا تكون جملة الاستفهام جملة تحويلية أصلها التوليدي كان بمعنى الإخبار، وجملة الاستفهام كذلك من المعاني التي يطلب بها المتكلم من السامع أن يعلمه بما لم يكن معلوماً عنده من قبل"⁽²⁾.

أما عن مفهوم الاستفهام عند المفسرين، فذكر الطبري في تفسيره أنّ الاستفهام في مفهومه هو "الخبر" من خلال أدوات الاستفهام وتعابير محددة تخرجه عن دلالة الوضع⁽³⁾.

وقد تطرق الطبري لأسلوب الاستفهام من وجهة نظر لغوية ودلالية وتأويلية، وبين آثار هذا الأسلوب في جماليات النص القرآني، فقد تحدث عن الهمزة، وأم، وهل، ومن، وما، وأين، وأي، وكيف، ومتى، وأنى، وربط معاني هذه الأدوات بالمعنى الكلي للنص القرآني، فقد جعل الطبري المعنى جلّ اهتمامه.

وأوضح الطبري في مقدمة تفسيره الغاية من إقدامه على التفسير ومفادها إدراك الحقيقة في النص القرآني، وهي فيه ككل حقيقة واحدة، من نالها نال السعادة في الدارين، فالطلب عند الطبري دلالي تشريعي، وليس أدبياً، أو بلاغياً، أو لغوياً، وبهذا يكون الطبري قد جعل جلّ همّه المعنى، إذ يجب أن نفهم المعاني الواردة في

(1) عمايرة، خليل أحمد، (1982)، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي، دراسات في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص7، وينظر: عمايرة، خليل أحمد، (1987)، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص105.

(2) عمايرة، في التحليل اللغوي، ص105.

(3) الطبري، جامع البيان: 228/5.

النص على الصورة التي يحب صاحب النص أن تفهم، وذلك هو معناها الصحيح الوحيد المفضي إلى السلوك الصحيح والذي عليه يتوقف الثواب والعقاب⁽¹⁾.

وأسلوب الاستفهام من الظواهر اللغوية التي تطرق إليها الطبري في تفسيره، فوقف عندها، وأشار إلى بعض أسرارها، فالاستفهام في مفهومه هو "الخبر" من خلال أدوات الاستفهام، وتعابير محددة تخرجه عن دلالة الوضع.

ومن هذه المواضع التي رأى فيها الطبري خروجاً من معنى الاستفهام، أو

الخبر عن معناه الحقيقي في قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ (2)

المعنى المستفاد في هذه الآية فرأى أن في قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم

أمواتاً" توبيخ مستعجب عباده، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة، ومن الطلاقة إلى الإنابة⁽³⁾.

فقد خطأ الطبري في هذا التفسير رأي من قال: أن هذا خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم فيها، فيقول: "وأما وجه تأويل من تأول ذلك، أنه الأمانة التي هي خروج الروح من الجسد، فإنه ينبغي أن يكون ذهب بقوله: "وكنتم أمواتاً" إلى أنه خطاب على أهل القبور بعد إحيائهم في قبورهم، وذلك بعيد، لأن التوبيخ هنا توبيخ على ما سلف من إجرامهم، لا استعجاب، ولا استرجاع"⁽⁴⁾.

وقال الطبري في موضع آخر: "إن كيف بمعنى التعجب، والتوبيخ، لا بمعنى الاستفهام، كأنه قال: ويحكم كيف تكفرون بالله، وأنتم ذاهبون إليه"⁽⁵⁾.

ومن الملاحظ أن الطبري يوجه الاستفهام حسب المعنى العام للآية، ويتفق والمعنى العام للسورة، فنظرته للاستفهام كانت حسب ورود الأداة أثناء التفسير،

(1) الطبري، جامع البيان: 35/1، 78.

(2) سورة البقرة، الآية: 28.

(3) الطبري، جامع البيان: 225/1-277.

(4) المرجع نفسه: 226/1.

(5) المرجع نفسه: 227/1.

فيحلل الآيّة، ويخرج معنى الاستفهام حسب ما تقتضيه ضرورات المعنى، ولو ازم التركيب، بالإضافة إلى تعليل بعض مواطن الاستفهام.

2.1.2 أدوات الاستفهام:

ترى الدراسات النحويّة أنّ الاستفهام من الأساليب الإنشائيّة، ويعني به طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وفي هذا التعريف، يقول سمير استيتية "إنه تحويل لتركيب إخباري إلى استفسار، باستعمال أدوات خاصة، وتنغيم معين، أو الاكتفاء بالتنغيم أحياناً"⁽¹⁾.

وتعدّ أدوات الاستفهام، من أكثر أبواب الاستفهام دراسة عند النحاة، فلا يكاد يخلو مؤلّف نحوي من جمع لأدوات الاستفهام.

ولو نظرنا إلى مفهوم الأداة في معاجنا العربيّة نرى أنّ مفهوم الأداة يدور حول معنى الآلة والوسيلة، فنجدها في الصحاح الأداة هي "الآلة" وجمعها "الأدوات" و"أدوات الحرب سلاحها" ومن المفهوم اللغوي نجد أنّ الأداة يراد بها الآلة الضروريّة التي يتوسل بها المرء إلى تحقيق ما يصنع، ويبدو أنّ هذا المدلول الحسي قد تطور إلى معنى ذهني مجرد، ليبدل على أنّ الأداة هي "الكلمة التي تستعمل للربط بين الكلام"⁽²⁾.

وتقسم أدوات الاستفهام بحسب التصور والتصديق إلى ثلاثة أقسام هي: أولاً: ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، فيتعمق التصوير، والتصديق في بناء الاستفهام، ثانياً: ما يطلب به التصديق فقط، فيتمركز في بناء "هل"، ثالثاً: ما يطلب به التصور دون التصديق، وهي لبقية الأدوات في الاستفهام⁽³⁾.

(1) إستيتية، سمير شريف (ت: 215هـ)، (1995)، الشرط والاستفهام في الأساليب العربيّة، ط1، دار القلم، دبي، الإمارات، ص98.

(2) الجوهري، الصحاح، مادة "أدو".

(3) عتيق، عبد العزيز، (1974)، علم البيان، ط1، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ص33.

وأول هذه الأدوات:

1.2.1.2 الهمزة:

الهمزة هي الأداة الرئيسي لبناء الاستفهام فهي أم الباب⁽¹⁾. ويتم بها الاستفهام عن مفرد وعن نسبة، ويأتي بعدها الاسم والفعل في حين يكون دخول غيرها على الأسماء من قبيل التوسع ومخالفة الأصل⁽²⁾. ويرى سيبويه أنّ الهمزة مرنة قابلة للتشكل مع الجملة الفعلية، والاسميّة، ويقول: "حروف الاستفهام لا يليها إلا الفعل، إلا أنهم قد توسعوا فيها فابتدأوا بعدها بالأسماء"⁽³⁾.

ولبنيّة الهمزة خصيصة الدخول على الإثبات والنفي، والشواهد القرآنيّة تدل على ذلك، فتحول الجملة التوليديّة الاسميّة والفعلية إلى تحويّلية يتحدد فيها المعنى من خلال السياق.

والأصل في الهمزة أنّ يطلب بها التصديق أو التصور، وهي بهذا تمتاز بهذا الأصل عن بقيّة الأدوات في هذا الباب فنقول: ألكتاب مفيد؟ فنجد الهمزة دخلت على الاسم، ونقول: أحضر محمد؟ فنرى أنّ الهمزة قد دخلت على الفعل، وفي هذين المثالين يطلب التصديق عن السؤال بإفادة الكتاب وبحضور محمد. ويكون ذلك بنعم أو لا. وأما التصور بالهمزة، فإن يسأل السائل عن تصور في ذهنه ليس بواضح له، فنقول: أمحمد يتكلم؟.

فتكون الإجابة عن السؤال السابق لإزالة الشك المتعلق بالتصور. ولهمزة الاستفهام مصطلح آخر عند المفسرين، فالطبري كثيراً ما يطلق على همزة الاستفهام ألفاً وهو بذلك يتبع الفراء في هذه التسمية، حيث يقول الفراء "فلو

(1) سيبويه، الكتاب: 128/2.

(2) عمارة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربيّة في منهج وصفي في التحليل اللغوي، ص10.

(3) سيبويه، الكتاب: 99/1.

ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام ثم استفهمت لم يكن إلا بالألف أو بهل" (1).

وقال في قوله تعالى: ﴿ b a ` _ ﴾ (2)، هذه الألف للاستفهام (3).

والهمزة حرف لا يعمل ولا محل له من الإعراب، وتكون الهمزة للنداء والاستفهام، أما النداء فقد بين الفراء أنّ العرب تنادي بالهمزة، حيث وجّه الفراء قراءة يحيى بن وثاب ﴿ 1 0 « 1/4 ﴾ (4)، حيث جعل الهمزة للنداء (5).

وأوضح الطبري في تفسيره أنّ الهمزة تتقدم على الفاء الرابطة بجواب "أما" في نحو قوله تعالى: ﴿ Û Ø × Ö Õ Ô Ó Ò ﴾ (6)، مبيناً أنّ موضع الفاء هو ابتداء الفعل "يقال" المقدر، ولما حذف وجاءت الهمزة التي تنصدر الكلام ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها، وذكر الطبري أنه لا يجوز أنّ يتقدم على الهمزة معمول الفعل بعدها، فلا يقال "أخاك أكلمت" (7).

ولا جواب الشرط إذا دخلت على أدواته على جواز تقدم الجواب نحو قوله:

﴿ f e t b ﴾ (8)، لأنّ لها الصدارة المطلقة، فلا يجوز التقدير إنّ ذكرناكم فمعكم طائرکم" (9).

فالهمزة لها الصدارة وإن جاءت معطوفة بالواو أو بالفاء، ثم قدمت على

العاطف تحقيقاً لأصلاتها في الوقوع في صدر الجملة كما في قوله تعالى: ﴿ a ﴾ -

① - (10).

(1) الفراء، معاني القرآن: 71/1.

(2) سورة الأنعام، الآية: 21.

(3) الفراء، معاني القرآن: 354/2.

(4) سورة الزمر، الآية: 9.

(5) الفراء، معاني القرآن: 355/2.

(6) سورة الجاثية، الآية: 31.

(7) الطبري، جامع البيان: 243/7.

(8) سورة يس، الآية: 19.

(9) الطبري، جامع البيان: 158/22.

(10) سورة العلق، الآية: 14.

في حين لا نجد ذلك في باقي أدوات الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿ ٥ ٤ ﴾⁽¹⁾

﴿ ٥ ٤ ﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿ ٥ ٤ ﴾⁽²⁾.

أما حذف الهمزة فجمهور النحاة يرى أنه لا يجوز إلا في الشعر وبشرط ما يدل عليها من لفظ أو سياق، ويشير ابن جني إلى عدم القياس في حذف أداة الاستفهام، وذلك لأن أدوات المعاني، كما يرى: إنما جيء بها اختصاراً ونتيجة عن الأفعال، ففي قولك: "هل قام أخوك؟"، قد نابت "هل" عن استفهم، فلو ذهبت تحذفها لكانت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به، ولكن مع أن القياس عندهم عدم جواز حذف أداة الاستفهام، إلا أن الشواهد تشير إلى حذف الأداة، وعلتهم قوة المعرفة بالوضع، فقالوا: بأن همزة الاستفهام قد حذفت في هذه الشواهد لقوة الدلالة عليها، فصارت القرائن الدالة عليها كالتلفظ بها، وبعضهم يقيس حذف همزة الاستفهام في الأخبار عند أمن اللبس ووجود ما يدل عليها، وحمل عليه قوله تعالى: "وتلك نعمة تمنُّها عليَّ أنَّ عبَدت بني إسرائيل"⁽³⁾.

أما ابن هشام في المغني فيقصر حذفها على ما يوجد فيه أم المعادلة الدالة على الهمزة المقدره⁽⁴⁾.

وأما ابن يعيش فقد قال في حذفها: "قال الشارح: يجوز حذف همزة الاستفهام في ضرورة الشعر، وذلك إذا كان في اللفظ ما يدل عليه"⁽⁵⁾.

(1) سورة التكوير، الآية: 26.

(2) سورة الأنعام، الآية: 95.

(3) ابن جني، الخصائص: 275/2-285.

(4) ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت: 761هـ)، (د.ت)، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، مصر: 11/1.

(5) ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش (643هـ)، (د.ت)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ودار الطباعة، القاهرة، مصر: 11/8.

أما حذف الهمزة عند المفسرين فكانت موضع نقاش، حيث أجازَه الفراء مطلقاً لدلالة الكلام عليه⁽¹⁾، وظاهره في ذلك الأخفش والطبري والزمخشري، وأشار الطبري إلى أن بعض أهل العربية أنكروه، لأنه لا يجوز إلغاء الهمزة وهي مطلوبة، فيكون الاستفهام كالخبر وإن حذفها قبيح⁽²⁾.

معاني الهمزة:

يجمع النحاة على أن أداة الاستفهام الهمزة، هي أم هذا الأسلوب وعُدَّت أصلاً له، وبين أبو حيان أن الأصل في كل ما تقع له أن تكون للاستفهام الصرف قبل أن تتحمل معاني أخرى⁽³⁾.

وحمل مع غيره على ذلك قسماً من مواضعها.

ومن المعاني التي خرجت إليها الهمزة:

1. الاستعلام:

وسمَّاه بعضهم استعلاماً واستخباراً أو استرشاداً، إذ نقل الطبري عن أحدهما

أن جعلها للاستعلام في قوله تعالى: ﴿... / O﴾⁽⁴⁾.

وعن بعضهم أنها هنا للاسترشاد عما لم يعلموا. ولكن الطبري جعلها

للاستخبار بمعنى أعلمنا يا ربنا أجاهل فيها من يفسد فيها؟⁽⁵⁾.

2. التقرير:

تعددت عبارات النحويين والمفسرين في هذا المعنى للهمزة، وحُمِّل هذا

المعنى على قوله تعالى: ﴿... ÇAE﴾⁽⁶⁾، حيث يرى أبو عبيدة الكلام فيه إيجاباً

(1) الفراء، معاني القرآن: 213/2.

(2) الطبري، جامع البيان: 69/16.

(3) الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي (ت: 754هـ)، (1983)، تفسير البحر المحيط، ط2،

دار الفكر، بيروت، لبنان: 213/8.

(4) سورة البقرة، الآية: 30.

(5) الطبري، جامع البيان: 209/1.

(6) سورة يونس، الآية: 77.

وتفهيماً وصرحاً بتسميته، وحمل عليه عدداً من النصوص منها قول جرير في مديح عبد الملك بن مروان⁽¹⁾:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟
فقد بين أن الشاعر لم يستفهم، ولو كان استفهماً ما أعطاه عبد الملك مئة من الإبل برعاتها، وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألسنت الفاعل كذا؟ ليس باستفهام وإنما تقرير.

وأوضح الطبري أن هذا المعنى يتشكل عادة من دخول همزة الاستفهام على حرف النفي، فإذا قال أحدهم لصاحبه: ألم أكرمك؟ ألم أتفضل عليك؟ أفاد إخباره بأنه قد أكرمه وتفضل عليه، وكأنه بمعنى أليس قد أكرمتك؟ أليس قد تفضلت عليك⁽²⁾.
أما تحليل هذا الاستفهام، وفق العلم اللساني المعاصر، فيرى سميير استنيتية أن التركيب القرآني في هذه الآية، قد جاء خير دليل على ما يسميه توسعة الاستفهام في العربيّة، فقوله تعالى: ﴿أَمْ أَلَمَ أَهْلُكُمْ بِبُنْيَانِ أَيْدِيهِمْ أَن سُلِّمَتْ لَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ أَعْيُنِنَا قَدْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ﴾⁽³⁾، فالبنيّة العميقة لهذا التركيب القرآني تضمن الجمل التوليدية التالية⁽⁴⁾:

1. جاءكم الحق.

2. قلتم للحق: هذا سحر.

ويرى أنه لم يدخل الاستفهام على الجملة التوليدية "قلتم للحق"، فقد حولها إلى جملة تحويلية استفهامية فأصبحت "أتقولون للحق؟"، وكان من المتوقع أن يكون التركيب في بنيته المنطوقة: "أتقولون للحق لما جاءكم: هذا سحر؟ ولكن الاستفهام

(1) الكلبي، جرير بن عطية بن حذيفة (ت: 110هـ)، (2008)، ديوان جرير، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص 85، 89، الزمخشري، جار الله محمود الزمخشري (ت: 538هـ)، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ترتيب: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 42/1.

(2) الطبري، جامع البيان: 481/1.

(3) سورة يونس، الآية: 77.

(4) استنيتية، الشرط والاستفهام، ص 123.

جاء بصورة موسعة حتى إنه امتد إلى الجملة التوليدية: "هذا سحر"، فأصبحت: "أهذا سحر؟"⁽¹⁾.

والدليل على ذلك كما يراه سمير استيتة: هو أن الاستفهام في الجملة التحويلية "أسحر هذا؟" هو امتداد للاستفهام في الجملة التحويلية: "أقولون؟" هو أن الاستفهام فيهما واحد⁽²⁾.

3. الإنكار:

ويكون ما بعد الهمزة إفادة بأنه غير واقع وأن مدعيه كاذب: ﴿

6 7 8 9 : ﴿⁽³⁾.

وهذا المعنى كثير الوقوع في القرآن، وهناك من أضاف إليه معنى آخر وهو التوبيخ، وأضاف الطبري إلى هذين المعنيين معنى ثالثاً، وهو الاستهزاء، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿ ⁽⁴⁾، ورأى في قراءة الأعمش له "الحق" معنى التعريض؛ لأنه أخل في الاستهزاء بأنه باطل⁽⁵⁾.

4. التوبيخ:

وحمل عليه النحويون والمفسرون معنى الهمزة في عدد من المواضع، وقرنوه في معظم الأحيان بمعنى التقرّيع، وأضافوا إليه بعض الدلالات والمعاني الأخرى.

فقد ذهب إليه الفرّاء في غير موضع من القرآن كقراءة حمزة: ﴿

﴿⁽⁶⁾، أي لئن كان كذلك تطيعه⁽⁷⁾.

(1) استيتية، الشرط والاستفهام، ص 122.

(2) المرجع نفسه، ص 124.

(3) سورة الإسراء، الآية: 40.

(4) سورة يونس، الآية: 53.

(5) الطبري، جامع البيان: 250/1.

(6) سورة القلم، الآية: 14.

(7) الفرّاء، معاني القرآن: 174/3.

واختلف الطَّبْرِي مع الفَرَّاء في أنَّ جعلَ الهمزة في الآية السابقة للتقريع لأنَّه أظهر من التوبيخ⁽¹⁾.

وقريب من التوبيخ معنى الاستهزاء والتحقير، وقد ذكر المعنى الأول الطَّبْرِي، في توجيهه قراءة ابن عباس: ﴿K JI H G﴾⁽²⁾.

وذلك على استهزاء المكذابين بالبعث⁽³⁾، وعرض المعنى الثاني أبو حيان وذلك في قوله تعالى: ﴿ Ò Ñ Đ İ Î Í À ﴾⁽⁴⁾.

5. التَّعْجُبُ:

وضمه النحاة والمفسرون إلى عدد من المعاني كالإنكار والتقرير وغيره، وذلك لقربه منها، إلا أنهم وجدوه في بعض المواقع يستقل بنفسه، وينبني المعنى عليه ويضاف إليه أحياناً بعض الدلالات الأخرى المناسبة له.

فقد ذكر الطَّبْرِي معنى التَّعْجُبُ في عددٍ من النصوص، ولكنه منعه في بعضها، وأقره في الآخر، كقوله تعالى: ﴿أَتَخَذْنَا هُمْ سُخْرِيًّا﴾ وكذا صنع الزمخشري، إلا أنه رآه في بعضها تعجباً كقوله: ﴿D CB A @ ? > =﴾⁽⁵⁾، وذلك في محاجة النمرود في الله وكفره به⁽⁶⁾.

وبعد رصد أهم المعاني التي خرجت إليها الهمزة نرى أن هذه الهمزة في أي من هذه المواضع لا تكون للاستفهام، بل لها وظيفة دلالية أخرى في الجملة، وإذا أردنا أن نبحث في الأمثلة التي ساقها النحاة لخروج الهمزة عن معناها الحقيقي، نجد تناقضاً في معنى الاستفهام، فالاستفهام هو طلب العلم ممن يعلم، بينما نجد في هذه

(1) الطَّبْرِي، جامع البيان: 209/1.

(2) سورة النمل، الآية: 66.

(3) الأندلسي، البحر المحيط: 83/5.

(4) سورة يونس، الآية: 78.

(5) سورة البقرة، الآية: 258.

(6) الطَّبْرِي، جامع البيان: 209/1.

الأمثلة السابقة، أنَّ السائل أو المتكلم عالم بالأمر مطلع عليه. وليس مستفهماً، وبالتالي لا تكون هذه الأدوات للاستفهام، وإنما للمعنى الذي خرجت إليه.

2.2.1.2 هل:

وهي حرف استفهام لطلب التصديق الموجب، وقرينة الهمزة في كثرة استعمالها، فلا يستفهم بها إلا عن مضمون الجملة، أي عن الإسناد الذي فيها، ولذلك لا يكون جوابها إلا "نعم" أو "لا" ويستفهم به على السواء عن مضمون الجملة الفعلية نحو: "هل قام زيد؟"، وعن مضمون الجملة الاسمية، نحو: "هل عمرو قاعد؟"، إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيام لزيد، والقعود لعمرو⁽¹⁾.

ولا تدخل هل على جملة فيها "إنَّ"؛ لأنَّ إنَّ إذا دخلت على جملة أفادت التوكيد في حين إنَّ أداة الاستفهام تكون لمعرفة ما هو مجهول، ولا تدخل هل على جملة الشرط؛ لأنَّ جملة الشرط تقوم على جزأين يتعلق أحدهما بالآخر، لذا لا يستفهم عنهما بهل⁽²⁾.

وأداة الاستفهام "هل" وفق الدرس اللساني المعاصر تدخل على الجملة التوليدية الاسمية فتحولها إلى تحويلية وتبقى اسمية، ويتغير المعنى إلى معنى جديد، وهو الجهل بالأمر وطلب العلم به تقول: هل محمد قادم؟ فيكون الأصل التوليدي للجملة: محمد قادم.

ثم جرى عليها تحويل بالزيادة، فأصبحت الجملة جملة تحويلية اسمية. وتدخل "هل" أيضاً على الجملة الفعلية، فالجملة الفعلية تبقى على نظامها الأصلي "فعل + فاعل"، فعل + فاعل + مفعول به، فتكون جملة تحويلية في معناها، تحويلية بزيادة هل.

(1) الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت: 384هـ—)، (1981)، معاني

الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، سعودية، ص30.

(2) عمايرة، في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي، ص124.

معاني هل:

وتخرج "هل" عن معنى الاستفهام إلى معانٍ أخرى، منها: أن تكون بمعنى قد، كما في قوله تعالى: ﴿E DC﴾⁽¹⁾.

وبمعنى إنَّ في مثل قوله تعالى: ﴿210 / . -﴾⁽²⁾.

وبمعنى النفي، كما في قوله: ﴿d cb a﴾⁽³⁾.

وكما في قوله تعالى: ﴿O Ñ Đİ Î Í À ÊÊ﴾⁽⁴⁾.

وهنا الاستفهام جاء إنكارياً في معنى النفي، لذلك اقترن ما بعده بحرف الجر "من" لتأكيد النفي، واختير الاستفهام بـ"هل" دون الهمزة لما في "هل" من الدلالة على التحقيق والتصديق⁽⁵⁾.

وقد مثل الطبري على معنى النفي لأداة الاستفهام هل، بقول الشاعر:

يقول إذا اقلولى عليها وأفردت ألا هل أخو عيشي لزيد بدائم

فأدخل في "دائم" الباء مع "هل" وهي استفهام وإنما تدخل في خبر "ما" التي

في معنى الجحد لتقارب معنى الاستفهام والجحد⁽⁶⁾.

ومن المعاني التي تخرج إليها "هل" الأمر، وقد تطرق الطبري إلى خروج

الاستفهام عن معناه إلى الأمر، ومثّل عليه قوله تعالى: ﴿q p o n﴾

﴿x wv uis r﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة المائدة، الآية: 91.

(2) سورة الفجر، الآية: 5.

(3) سورة الزخرف، الآية: 66.

(4) سورة فاطر، الآية: 3.

(5) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 113/22.

(6) الطبري، جامع البيان: 301/5.

(7) سورة آل عمران، الآية: 20.

قال الطَّبْرِي: يعني الله جل ثناؤه "وقل" يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى "والأميين" الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب "أسلمتم" يقول: قل لهم: هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهية لرب العالمين، دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم تعلمون، أنه لا رب غيرها ولا إله سواه "فإن أسلموا" يقول: فإن عادوا لإفراد الوحدانية لله فقد أصابوا سبيل الحق⁽¹⁾.

ويقول: "وإن قال قائل: وكيف قيل: "فإن أسلموا فقد اهتدوا" عقب الاستفهام، وهل يجوز على هذا في الكلام أني قال للرجل: "هل تقوم؟ فإن تقم أكرمك؟ مثل ذلك جائز، إذا كان الكلام مراداً به الأمر وإن خرج مخرج الاستفهام"⁽²⁾.

ومثل الطَّبْرِي على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿ > = < @ ? C B A ﴾

﴿ E D ﴾⁽³⁾، يعني: انتهوا، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن الحواريين أنهم قالوا

لعيسى: ﴿ > = < @ ? C B A ﴾⁽⁴⁾،

وإنما هي مسألة كما يقول الرجل هل أنت كافٌ عنا؟ بمعنى اكفف عنا، وكما يقول الرجل أين؟ بمعنى أقم فلا يشرح.

ولذلك جُوزِي في الاستفهام كما جُوزِي في الأمر، كما في قراءة عبد الله:

﴿ { z yx wv u t s r } ﴾⁽⁵⁾، ففسرها الفراء بالأمر، وهذا هو

التفسير⁽⁶⁾.

(1) الطَّبْرِي، جامع البيان: 380/5.

(2) المرجع نفسه: 281/6.

(3) سورة المائدة، الآية: 91.

(4) سورة المائدة، الآية: 112.

(5) سورة الصف، الآية: 10-11.

(6) الطَّبْرِي، جامع البيان: 282/6.

ومن المعاني التي تخرج "هل" عن معناها الحقيقي:

النفي: إذ نجد خروج "هل" إلى هذا المعنى عند كثير من المفسرين، واستدلوا لذلك بقرائن متعددة، إذ جعل الفراء هذا المعنى مطرداً فيها ويوازي استخدامها في الاستفهام الحقيقي، ويقول: تقول هل يقدر واحد على هذا؟ أي ما يقدر وهل أنت إلا كواحد منا؟ وهل أنت بذاهب؟ والمعنى ما أنت إلا واحد منا وما أنت ذاهب. ويجعل الفراء دخول إلا الحاصرة والباء الزائدة في الكلام دليلاً على هذا المعنى⁽¹⁾.

وحمل الطبري على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿3/4﴾ نَحْ أَمْ آءَ

﴿آء﴾⁽²⁾، أي ما ينظرون⁽³⁾.

ويرى خليل عمارة أن "هل" عنصر استفهام يدخل على الجملة التوليدية الاسمية، فتحولها إلى جملة تحويلية وتبقى اسمية، فنقل المعنى إلى معنى جديد هو الجهل بالموضوع وطلب العلم به، فجملة: هل زيد حاضر؟ جملة أصلها التوليدي زيد حاضر.

ثم جرى عليها عنصر تحويل بالزيادة، وكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، فأصبحت الجملة جملة تحويلية اسمية، إذ أدخلت "هل" الجملة في معنى الشك الذي يود المتكلم أن يزيله⁽⁴⁾.

ويرى أن هل كذلك تدخل على الجملة الفعلية، فتحول إلى جملة تحويلية في معناها، تحويلية بزيادة "هل"، والزيادة هنا جاءت لطلب إزالة الإبهام في الجملة كلها⁽⁵⁾.

(1) الفراء، معاني القرآن: 329/2.

(2) سورة البقرة، الآية: 210.

(3) الطبري، جامع البيان: 329/2.

(4) عمارة، في التحليل اللغوي، ص124.

(5) عمارة، في التحليل اللغوي، ص125.

ويرى عمايرة أنّ أيّ خروج لأداة الاستفهام "هل" من معنى الاستفهام إلى معنى آخر كالنفي، والأمر... الخ، فإن ذلك يقوم على قرينة أخرى هي السياق⁽¹⁾. فالسياق في رأيه هو الذي يحدد المعنى هل هو للاستفهام الحقيقي، أم إلى معانٍ أخرى، كالنفي والتعجب... الخ.

3.2.1.2 كيف:

"كيف" من أدوات الاستفهام التي يطلب بها الفهم، وهي عند أغلب النحاة بمعنى "على أي حال"⁽²⁾.

فإذا قلت: "كيف زيد؟" كان معناه على أي حال هو: أصحيح، أم سقيم؟ والأحوال أكثر من أن يحيط بها محيط⁽³⁾.

ويرى ابن هشام أنّ "كيف" يمكن أن تكون مفعولاً مطلقاً، حيث يقول: "وعندي أنها تأتي مفعولاً مطلقاً أيضاً"⁽⁴⁾.

ويرى الطبري أنّ "كيف" معناها هو السؤال عن الحال والهيئة، حيث قال: ولو قال قائل لآخر: كيف أنت؟ لقال: صالح أو بخير أو في عافية وأخبره عن حاله التي هو فيها فيعلم حينئذٍ أنّ "كيف" مسألة عن حال المسؤول⁽⁵⁾.

أما من وجهة نظر علم اللغة المعاصر فتعد "كيف" من الأبنية التحويلية التي تنتقل التوليدية إلى البنية التحويلية، لتعبر عن طلب الفهم، بأمر من المخاطب، وإن اختلاف النحاة في إعرابها، بين الخبر والحال، والمفعول المطلق... الخ، وذلك لأنهم عدوها من أصول الجملة التي ترد فيها⁽⁶⁾.

(1) عمايرة، في التحليل اللغوي، ص125.

(2) سيبويه، الكتاب: 233/4.

(3) ابن السراج، محمد بن سهيل (ت: 316هـ)، (1985)، الأصول في النحو، ط3، تحقيق:

عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: 136/2.

(4) ابن هشام، مغني اللبيب: 206/1.

(5) الطبري، جامع البيان: 220/3.

(6) عمايرة، أسلوبا النفي والاستفهام، ص43.

معاني كيف:

لقد اختلف المفسرون في تحديد معاني "كيف" في النصوص، كما هو الأمر

في قوله تعالى: ﴿! " # \$ % &﴾⁽¹⁾.

ف نجد أنّ الفراء جعل "كيف" للتعجب وللنفي واستدل على ذلك بقراءة ابن مسعود "كيف يكون للمشركين عهد عند الله ولا ذمة" فزيدت "لا" فيها لتوكيد النفي أي ليس للمشركين عهد ولا ذمة⁽²⁾.

وأضاف أبو حيان في محيطه معنى التشبيه⁽³⁾.

ونجد كذلك اختلافهم في قوله تعالى: ﴿Ⓜ - ° ±

2 3﴾⁽⁴⁾، فقد جعلها الفراء للتعجب والتوبيخ⁽⁵⁾.

ويوافقه في ذلك الطبري، فيقول "كيف" بمعنى التّعجب والتوبيخ، والاستعجاب والتأنيب، لا بمعنى الاستفهام، كأنه قال: ويحكم كيف تكفرون بالله، كما قال: "قأين تذهبون" وهل قوله: "وكنتم أمواتاً فأحياكم" محل الحال، وفيه ضمير "قد"، ولكنها حذفت لما في الكلام من الدليل عليها⁽⁶⁾.

ونرى أنّ أيّ خروج لأداة الاستفهام "كيف" عن معناها الأصلي الذي وضعت له لا يمت إلى الاستفهام بصلة فهو لا يكون بقصد طلب الفهم وطلب المعرفة بالشيء على سبيل الاستفهام، وإنما يكون للمعنى الذي خرج إليه من تعجب أو توبيخ، ويتعمق المعنى في السياق الذي ترد فيه الأداة كيف.

(1) سورة التوبة، الآية: 7.

(2) الفراء، معاني القرآن: 164/1.

(3) الأندلسي، البحر المحيط: 12/5.

(4) سورة البقرة، الآية: 28.

(5) الفراء، معاني القرآن: 423/1.

(6) الطبري، جامع البيان: 427/1.

4.2.1.2 أي:

أي الاستفهامية من الأدوات الاستفهامية التي تطرق إليها الطبري، في خلافه مع النحاة البصريين والكوفيين في بعض المسائل الإعرابية، ومن ذلك مخالفة الطبري النحاة في أي الاستفهامية فقال في قوله تعالى: ﴿ 32 ± ° ﴾

﴿ 1 ﴾⁽¹⁾، فيقول: فإنَّ ظنَّ الظان أن الواجب في "أيهم" النصب، فقد ظنَّ خطأً، وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أي يقتضي استفهاماً واستخباراً، وحظُّ أي في الاستخبار الابتداء⁽²⁾.

والذي دعا الطبري إلى تخطئة من ظنَّ في "أي" النصب هو المعنى الذي يدل على محذوف، وقد ذكره في تفسير هذه الآية، حيث قال: "ففي قوله" إذ يلقون أقلامهم" دلالة على محذوف من الكلام، وهو: (ينظرون) أيهم يكفل، فأزال هذا الظن، وأكدَّ أن قوله "أيهم يكفل مريم" مبتدأ وخبر، وأن الجملة في موضع نصب لذلك الفعل المحذوف.

5.2.1.2 أنى:

"أنى" من أدوات الاستفهام التي أحدثت إشكالاً في تحديد معنى الاستفهام فيها، وتباينت آراؤهم في توجيه النصوص المتمثلة عليها، وفي مقارنتها بأخواتها. وعدّها بعضهم من الأدوات المشكّلة في العربية، فهي عند سيبويه بمعنى "كيف" و"أين"⁽³⁾.

وهي بمعنى "من أين" عند الزركشي⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 44.

(2) الطبري، جامع البيان: 184/3.

(3) سيبويه، الكتاب: 235/4.

(4) الزركشي، بدر الدين (ت: 794هـ)، (1971)، البرهان في علوم القرآن، ط1، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعرفة، بيروت، لبنان: 249/4.

وهناك معنى ثالث ألقه النحاة وهو أن تكون بمعنى "متى"، حيث يقول

الزركشي "وتكون بمعنى "متى" كقوله تعالى: ﴿k p o n m l r q

z y x w v u t s ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ﴾

© «^a ¬ ® ± ° 2 3 1 μ ¶ ° 1

» 3/4 1/2 ن Æ Å Ä Ì Á À

Ç É È Ê Ë Ì Í Î Ï Ñ Ò Ó Ô Õ Ö Ù

× (1)(2)

أما الطبري فرأى أنها جاءت بمعنى "من أي جهة"، وخالف النحاة والمفسرين الذين عدّوا "أنى" بمعنى "كيف"، وبمعنى "أين"، وبمعنى "متى"، إذ يقول: "أنى" في كلام العرب كلمة تدل إذا ابتدئ بها الكلام على المسألة عن الوجوه والمذاهب، فكأن القائل إذا قال لرجل: أنى لك هذا المال؟ يريد من أي الوجوه لك؟ ولذلك يجيب المجيب فيه بأن يقول: من كذا وكذا... وهي مقاربة "أين" و"كيف" في المعنى، ولذلك تداخلت معانيها فأشكلت "أنى" على سامعها ومتأولها حتى تأولها بعضهم "أين" وبعضهم بمعنى "كيف" وآخرون بمعنى "متى" وهي مخالفة جميع ذلك في معناها، وهل لها مخالفات، فجيء بـ"أنى" للمسألة عن الوجه وبـ"أين" للمسألة عن المكان"⁽³⁾.

ونجد أن الطبري قد ميّزها بوضوح عن أخواتها، وقد وافقه بعض المفسرين إلا أنهم لم يجدوا بداً من حملها على إحدى أخواتها تبييناً لمعناها أو تقريباً له، إذ منهم من حملها على معنى "أين"⁽⁴⁾.

(1) سورة البقرة، الآية: 259.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 250/4.

(3) الطبري، جامع البيان: 397/2-398.

(4) الصغير، محمود أحمد، (2001)، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق،

سوريا، ص 245.

وحملها الطَّبْرِي على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿J MLK﴾⁽¹⁾، أي من أين يكون لي غلام؟⁽²⁾.

وقد جعل الفرّاء "أنى" في هذه الآية بمعنى "كيف"⁽³⁾.

ونقل الطَّبْرِي عن القدماء اختلافهم فيها فذكر توجيه الفرّاء، وأن بعضهم جعلها بمعنى من، وبعضهم بمعنى "أين" و"حيث"⁽⁴⁾.

واستصوب الطَّبْرِي معنى من "أي وجهة شئتم" لأنّ هذا المعنى في رأيه هو الأساس في هذه الأداة، وبه تختلف عن أخواتها الاختلاف البيّن⁽⁵⁾.

وترى الدراسة أن ما يختاره الطَّبْرِي في أن "أنى" لمعنى "من أي وجه" أو "من أية جهة"، وما ذكره من أمثلة وشواهد يؤكد استيعابه الدقيق لمعاني القرآن، وهذا المعنى هو المعنى الذي نختاره رأياً، فيكون معنى قوله تعالى "أنى شئتم": من أي وجه شئتم.

ولعلّ أداة الاستفهام "أنى" تتحمل هذه المعاني والسياق هو الذي يحدد المعنى الذي جاءت به هذه الأداة، والجملة الاستفهامية المتصدرة بأداة الاستفهام "أنى" هي جملة في الأصل توليدية اسمية، ثم جرى عليها تحويل بالزيادة، بزيادة أداة الاستفهام، فأصبحت جملة تحويلية اسمية استفهامية تفيد معنى دلالياً جديداً يكتسب من السياق اللغوي، وتتضافر فيه أركان الجملة على أداء هذا المعنى.

(1) سورة آل عمران، الآية: 40.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 358/3.

(3) الفرّاء، معاني القرآن: 210/2.

(4) الطَّبْرِي، جامع البيان: 392/2.

(5) المرجع نفسه: 397/2.

6.2.1.2 متى وأيان:

يرى سيبويه أنّ "متى" بمعنى "أي حين أو في أي زمان"⁽¹⁾، وهي اسم مبني للزمان للسؤال عن الزمان ليغني عن جميع أسماء الزمان، والنحاة جعلوا "متى" ظرفاً للزمان، لأنهم وجدوها سؤالاً عن الأزمنة⁽²⁾.

أما "أيان" فهي عند النحاة ظرف زمان بمعنى "متى"⁽³⁾.

وقد فرق النحاة بينها وبين أداة الاستفهام "متى" بأن "متى" هي أكثر استعمالاً من "أيان" وهي لكثرة استعمالها أصبحت أظهر للزمان من "أيان" ومن الفروق التي ذكرها النحاة أنّ "متى" تستعمل في كل زمان، أما "أيان" فلا تستعمل إلا فيما يراد به تفخيم أمره، وتعظيمه في النفوس⁽⁴⁾.

وقد ذكر الطبري أنّ "متى" يسأل بها عن الوقت، وحمل على هذا المعنى قوله

تعالى: ﴿ > ؟ @ ﴾⁽⁵⁾، وهي في موضع نصب على الظرف لأنه وقت⁽⁶⁾.

وذكر الطبري أنّ "متى" يمكن أن تكون أحد حروف الجر بمنزلة "من"⁽⁷⁾.

وهناك من أخرج كذلك أداة الاستفهام "أيان" من الاستفهام عن الزمان بمعنى "متى" فقد أخرجها أبو حيان في تفسيره إلى معنى التكذيب والاستهزاء⁽⁸⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿ 98 : ; ﴾⁽⁹⁾.

(1) سيبويه، الكتاب: 217/1.

(2) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (ت: 471هـ)، (1982)، المقتصد في شرح الإيضاح، ط1، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق: 228/1.

(3) سيبويه، الكتاب: 235/4.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 106/4.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 38.

(6) الطبري، جامع البيان: 28/17.

(7) المرجع نفسه: 207/59.

(8) الأندلسي، البحر المحيط: 135/8.

(9) سورة الذاريات، الآية: 12.

ونرى أنّ هاتين الأداتين تشتركان في معنى واحد، وهو السؤال عن الزمان وإن كانت "متى" هي أعلم من "أين" في الاستفهام عن الزمان وأن البناء الاستفهامي لها هو بناء تحويلي، جرى التحويل فيه بالحذف، والزيادة للاستفهام عن الزمن، فعنصر التحويل "متى" دخل على الجملة التوليدية، وأجرى في بناء الجملة تحويلاً ليفيد معنى السؤال عن الزمن، وأن قوله تعالى: "متى هذا الوعد" هو بناء تحويلي أصله التوليدي، الوعد قريب، فحذف الخبر وجيء بأداة الاستفهام متى فتصدرت الجملة التوليدية فأصبحت الجملة جملة تحويلية اسمية للاستفهام عن الزمان، وهذا ينطبق كذلك على أداة الاستفهام "أين".

7.2.1.2 أم:

وهي من أدوات الاستفهام التي لم يدرجها كثير من النحاة القدماء والمحدثين ضمن أدوات الاستفهام، إلا أنّ الطبري قد تعرض لهذه الأداة كأداة استفهام تدخل على الاستفهام المعترض في وسط الكلام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ، وضمن قوله تعالى: ﴿﴾ (* + , - . / 0 1 2 ﴿﴾⁽¹⁾، وقيل: "أم حسبت" ولم يقل: "أحسبتم" لأنه من الاستفهام المعترض في وسط الكلام، فأدخلت فيه "أن" ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ⁽²⁾.

2.2 أسلوب التعجب:

1.2.2 التعجب لغةً واصطلاحاً:

هو شعور داخلي تتفعل به النفس حين تتعظم أمراً نادراً، أو لا مثيل له مجهول الحقيقة أو خفي السبب، ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه الأشياء كلها⁽³⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 142.

(2) الطبري، جامع البيان: 115/8.

(3) ابن يعيش، شرح المفصل: 101/2.

أو هو: "استعظام فعل فاعل ظاهر المزيّة"⁽¹⁾.

وقد ذكر الزمخشري تحليلاً طريفاً لدلالة التعجب عند تفسير قوله تعالى:

﴿NML K﴾⁽²⁾، قائلاً: ومعنى التعجب عظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله⁽³⁾.

2.2.2 صيغ التعجب:

للتعجب صيغتان، وهما⁽⁴⁾:

1. ما أفعل: وذلك: ما أكرم زيداً!

2. أفعل بـ: وذلك اكرمَ بزيداً!

ويرى الزمخشري أنّ أسلوب التّعجب هو صورة متحولة عن صورة أخرى قديمة، وذلك لتؤدي معنىً جديداً لم يكن قائماً في الصورة القديمة، فما التّعجبية متحولة عن ما الاستفهامية، وهي بمعنى "شيء" أو "شيء عظيم"⁽⁵⁾.

إلا أنّ جونز لاينز قد فرق بين جملة التّعجب وجملة الاستفهام، وذلك من ناحية وظيفية، إذ يمكن رؤية الجمل التّعجبية مثل "ما أطوله" على أحسن وجه من زاوية دلالية، واعتبارها فرعاً من فروع الجمل الخبرية المعتمدة، فالتعبير "ما أطوله" يحمل معنى "هو طويل جداً"⁽⁶⁾.

(1) الغلاييني، مصطفى، (1999)، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان: 65/1.

(2) سورة غافر، الآية: 35.

(3) الزمخشري، الكشاف: 97/4.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 142/7-145.

(5) الزمخشري، الكشاف: 98/4.

(6) لاينز، جون، (1987)، اللغة والمعنى والسياق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق،

ويرى لاينز أنَّ التَّعْجُبَ هو أسلوب دلالي يعتمد على التنغيم، وقد فرق بين
جمل التَّعْجُبِ والتَّعْجُّبِ، إذ يمكن نطق الجمل بذلك التغيير الصوتي المعبّر الخاص
الذي قيّم التعبير عنه بواسطة النبر والتنغيم⁽¹⁾.

أما عن أثر القاعدة النحويّة في تركيب الجملة ودلالاتها، فإن أسلوب التَّعْجُبِ
بصيغته "ما أفعل" و"أفعل به" من الأساليب الإفصاحيّة الانفعاليّة التي تتبع من عاطفة
المتكلم، وعليه فجملة التَّعْجُبِ جملة إنشائيّة لا تحتل الصدق والكذب.

ولكن إذا نظرنا إلى معالجة النحاة الأوائل لجملة التَّعْجُبِ القياسي نجد أنهم
عالجوها معالجة منطقيّة، فلجأوا إلى التقرير والتأويل، وهذا أدى بهم إلى الخروج
بهذا الأسلوب عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر لا يتضمنه، فجملة "ما أحسن زيدا"
لا تتضمن المعنى الذي تفيد جملة "شيء أحسن زيدا"⁽²⁾.

وحمل النحاة جملة التَّعْجُبِ من التقرير والتأويل ما لا تحتمله، فذهبوا إلى أنَّ
"ما" في صيغة "ما أفعل" نكرة تامة بمعنى شيء. وذلك بتسويغ الابتداء بها، وبذلك
تشكل مع الذي يليها جملة اسميّة مكونة من المسند إليه، وهو المبتدأ "ما"، والمسند
هو، وما يليها من الفعل الذي يكون في محل رفع خبر⁽³⁾.

وذهبوا إلى أن "أفعل" في نحو "ما أجمل السماء!" فعل ماضٍ لإنشاء التَّعْجُبِ،
وذلك لتسويغ نصب ما بعده وهو "السماء".

وذهبوا إلى أنَّ "أفعل" في نحو "أكرم بزيدا!" فعل ماضٍ جاء على صيغة الأمر
لإنشاء التَّعْجُبِ؛ وذلك بتكرير الرفع المحلي في "زيد" على أنه فاعل⁽⁴⁾.

وبهذه التقديرات يظهر لنا أنَّ النحاة أخرجوا جملة التَّعْجُبِ من دائرة الجملة
الإنشائيّة إلى الجملة الخبريّة، وأفقد هذا الأسلوب درجة الانفعال والتأثر بقيمته، ولهذا

(1) لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص155.

(2) عبد القادر، مرعي، (1995)، أساليب الجملة الإفصاحيّة في النحو العربي، دراسة تطبيقية
في ديوان الشاذلي، عمان، الأردن، ص82.

(3) سيبويه، الكتاب: 251/3.

(4) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (ت: 769هـ)، (1995)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن
مالك، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان: 117/3.

نجد أنّ علماء اللغة المحدثين قد عدّوا أسلوب التّعجب من التراكيب المسكوكة كالأمثلة التي لا تتغير، إذ يرى الدكتور تمام حسان أنّ صيغتي التّعجب من التراكيب التي لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال، ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات، ولا في جدول الصاقي كما يدخل هذان ومعهما الأسماء⁽¹⁾.

وقد أدرج الدكتور تمام حسان أسلوب التّعجب في قائمة الخوالب، وهي كلمات تستعمل في الأساليب التي تستعمل في موقف انفعالي⁽²⁾.

ولهذا يكفي لنا أنّ ننظر إلى جملة التّعجب بصيغتها على أنها جملة إنشائية غير إسنادية، وأنها من التراكيب المسكوكة التي لا تقبل الحذف، أو التقديم والتأخير، وتنتظر إليها على أنها صيغة ثابتة.

وإذا تطرقنا لوجهة نظر المفسرين في هذا الأسلوب، وخاصة أنّ للتعب أساليب مختلفة غير الأساليب أو الصيغ القياسية المعروفة لدينا، فنجد أنّهم تعرضوا إلى الأدوات التي استخدمت لتأدية معنى التّعجب، ومن هذه الأدوات "اللام" و"ما" و"إلى" وغيرها من الأدوات الموجودة في كتب التفسير.

3.2.2 أدوات خاصة بالتعجب:

"اللام":

فقد ذكر الطّبري أنّ اللام في قوله تعالى: ﴿ ! " # \$

% & ' (3)، تفيد معنى التّعجب والتقدير: أعجبوا لإيلاف قريش⁽⁴⁾.

(1) حسان، تمام، (1973)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص114.

(2) المرجع نفسه، ص114.

(3) سورة قريش، الآية: 1-2.

(4) الطّبري، جامع البيان: 91/2.

وقد وافق الفراء الطَّبْرِيَّ وجعل نظيره في اللغة قوله: لزيد، وواضعنا به⁽¹⁾.
ولزيد ولكرامتنا إياه، غير أنَّ الفراء لم يشر إلى هذا المعنى بصراحة، ولكنها إشارة
عامة نسبة إلى هذا المعنى بعيدة عن التوضيح والتصريح كما هو الأمر عند
الطَّبْرِيَّ.
"ما":

هذه الأداة نجدها في صيغة التَّعَجُّبِ القياسية "ما أفعله"، وقد حمل الطَّبْرِيَّ
عدَّةً نصوص، كقوله تعالى: ﴿ $\hat{A} \ \hat{A}\bar{A} \ \hat{A}$ ﴾⁽²⁾، أي فما أشد جرأتهم على
النار⁽³⁾، وقد وافق الزمخشري الطَّبْرِيَّ في وجه التَّعَجُّبِ في هذه الآية، إلا أنَّ أبا
عبيدة خالفهما (ت: 208هـ) في هذه الآية، ومنه أنَّ تكون للتعجب، وجعلها
استفهامية، أي: أي شيء أصبرهم على النار⁽⁴⁾.
"إلى":

وقد جعلها بعض النحاة والمفسرين تؤدي معنى التَّعَجُّبِ، فالفراء حمل هذه
الأداة معنى التَّعَجُّبِ في بعض الجمل، ومنه حين نقول: أما ترى إلى هذا؟ والمعنى
هل رأيت هذا؟ أو رأيت هكذا؟، ومنه قوله تعالى: ﴿ $CB \ A \ @ \ ? \ > \ =$ ﴾⁽⁵⁾
﴿ D ﴾⁽⁵⁾، وقال والدليل على ذلك أنه قال: ﴿ $o \ nml \ k$ ﴾⁽⁶⁾، فكأنه قال:
هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه أو كالذي مرَّ على قرية؟⁽⁷⁾.
وقد وافق الطَّبْرِيَّ الفراء في أنها جاءت هنا للتعجب، وليست للاستفهام⁽⁸⁾.

(1) الفراء، معاني القرآن: 293/3.

(2) سورة البقرة، الآية: 175.

(3) الطَّبْرِيَّ، جامع البيان: 123/2.

(4) الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص33.

(5) سورة البقرة، الآية: 258.

(6) سورة البقرة، الآية: 259.

(7) الفراء، معاني القرآن: 298/3.

(8) الطَّبْرِيَّ، جامع البيان: 23/3.

3.2 أسلوب الإغراء:

1.3.2 الإغراء لغة واصطلاحاً:

الإغراء لغة: غَرِيَ بالشيء: أُولِعَ به، وكذلك أُغْرِيَ.
الإغراء لغة: جاء في لسان العرب: "غَرِيَ بالشيء: أُولِعَ به، وكذلك أُغْرِيَ به وإِغْرَاءً، وِغْرَاءٌ وِغْرِيٌّ وأُغْرَاهُ به لا غير"⁽¹⁾.
وأما اصطلاحاً: فهو تنبيه المخاطب على حال يحمد عليه، أو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله⁽²⁾.

2.3.2 أساليب الإغراء:

ويكون الإغراء بتكرار المغرى به⁽³⁾، أو بالعطف عليه بالواو مع معطوفه، مثل: شأنك والصلاة، والعامل فيها إلزم الصلاة، وقدر النحاة فعلاً مضمراً وجوباً، وقالوا إذا هذه الأفعال حذفت لكثرتها في كلامهم ودلالة الحال وما جرى من الذكر عليها⁽⁴⁾.

ويعرف أبو البقاء الكفوي الإغراء "هو وضع الظرف أو الجار والمجرور موضع فعل الأمر، نحو: عليك ودونك، وورائك، ومكانك، وإليك، ولديك"⁽⁵⁾.
ويرى الطبري أنّ العرب تغرى بالصفات "حروف الجر، الظروف" نحو قولهم: "عليك"، و"عندك"، ودونك" و"إليك"⁽⁶⁾، وقد مثل الطبري على ذلك: قول الله

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 711هـ—)، (2001)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، مادة (غري): 62/10.

(2) السيوطي، همع الهوامع: 170/2.

(3) المرجع نفسه: 170/2.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 29/2.

(5) الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المطري، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد اللغوي، دمشق، 1981: 264/1.

(6) الطبري، جامع البيان: 138/1.

تعالى: ﴿ > = < ; ﴾ F E D C B A @ (1)، وقال:

نصب قوله تعالى: "أنفسكم" بالإغراء والعرب تغرى في الصفات بـ"عليك" و"عندك" و"دونك" و"إليك" (2).

ويرى إبراهيم أنيس أنّ هذه الظروف أقيمت مقام الفعل طلباً للتحقق، لأنّ الأسماء أخف من الأفعال فاستعملوها بدلاً عنها للتحقق (3).

ويرى أنها خصت بالمخاطب دون الغائب أو المتكلم، لأنّ المخاطب يقع الأمر له بالفعل من غير لام الأمر معه، فيفتقر إلى لام الأمر، فلما أقاموها مقام الفعل كرهوا أنّ يستعملوها للغائب والمتكلم، لأنّها تصير قائمة مقام شيئين: اللام والفعل، ولم يكرهوا ذلك في المخاطب؛ لأنّها تقوم مقام شيء واحد وهو الفعل (4).

وقد اختلف أصحاب المدرستين الكوفة والبصرة في جواز تقديم هذه الظروف عليها، فالكوفيون ذهبوا إلى جواز تقديم معمولها عليها، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ + * ﴾ (5)، فنصب "كتاب الله" بـ"عليكم"، أمّا البصريون فذهبوا إلى عدم جواز تقديم معمولها عليها، لأنّها فرغ على الفعل في العمل فلا ينبغي أنّ تتصرف تصرفه (6).

وكذلك مثل الطبري على الإغراء بالظروف، والجار والمجرور قول لبيد بن أبي ربيعة (7):

(1) سورة المائدة، الآية: 105.

(2) الصفات: مصطلح يطلقه الطبري على الظروف وحروف الجر. الطبري، جامع البيان: 138/11.

(3) أنيس، إبراهيم؛ والصوالحي، عطية؛ ومنتصر، عبد الحليم؛ وأحمد، محمد خلف الله، (1972)، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، مصر، ص155.

(4) المرجع نفسه، ص155-156.

(5) سورة النساء، الآية: 24.

(6) أنيس، أسرار العربية، ص156.

(7) العامري، لبيد بن أبي ربيعة، ديوان لبيد بن أبي ربيعة، شرح وتحقيق: إحسان عباس، دار التراث، الكويت، 1962، ص82.

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما
ومن يَبْكُ حَوْلًا كاملاً فقد اعتذر
حيث ذكر الطَّبْرِي الخِلافَ بين أهل التَّأويلِ حول قول لبيد اسم السلام
عليكما.

قال "اسم السلام" هو السالم، وفريق آخر رأى بأن قول لبيد يحتمل وجهين،
أحدهما أن "السلام" اسم من أسماء الله، فجاز أن يكون لبيد عنى بقول "ثم اسم
السلام عليكما"، ثم الزما اسم الله، وذكره بعد ذلك على وجه الإغراء⁽¹⁾.
فرفع الاسم: إذ أحرَّ الحرف الذي يأتي بمعنى الإغراء، وكان حقه أن ينصب
على الإغراء لو قال ثم عليهما اسم السلام، وبتقديم الإغراء، وقد تفعل العرب ذلك
إذا أحرَّت الإغراء، وقدمت المغرى به، وإن كانت قد تنصب به وهو مؤخر، ومن
ذلك قول الشاعر⁽²⁾:

يا أيها المائحُ دلوي دونكا
إني رأيتُ النَّاسُ يَحْمَدونكا

فأغرى بـ"دونك" وهي مؤخرة، وإنما معناه، دونك دلوي، فكذلك قول لبيد:

إلى الحَوْلِ ثم اسم السلامِ عليكما

يعني عليكما اسم السلام، أي الزما ذكر الله⁽³⁾.

وقف النحاة عند جملة الإغراء، وقرروا أن الإغراء هو اسم منصوب بفعل
محذوف إمّا وجوباً في حالتي العطف والتكرار، وإما جوازاً في غير هاتين الحالتين،
وقدروا هذا الفعل المحذوف بـ"الزم" فجملة الإغراء هي عندهم جملة فعلية طلبية،
فعندما تقول: "العلم العلم"، فالأصل في هذه الجملة وفقاً للقاعدة النحوية التي وضعها
النحاة "الزم العلم العلم".

وقد وافق رابح بو معزه النحاة، وذلك حين اعتبر الجملة هي من الجمل

التحويلية.

فالجملة الفعلية "أخاك أخاك" محولة بالحذف، ولم يبقَ منها إلا مغرى به، وهو

المفعول به أخاك أخاك المكرر لغرض التوكيد، وقد حذف منها فعل الأمر "الزم"

(1) الطَّبْرِي، جامع البيان: 205/1.

(2) البيت لعبيد الراي، سيبويه، الكتاب: 383/1.

(3) الطَّبْرِي، جامع البيان: 120/1.

وفاعله الذي لا ينفك عنه "أنت"، والنسبة العميقة لجملة الإغراء هي الزم أخاك، الزم أخاك⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أنّ هناك فرقاً في الدلالة بين الجملتين: العلم والعلم، والزم العلم العلم.

ففي الجملة الأولى نجد أنّ المتكلم يعبر عن مشاعره تجاه أمر محمود، وينبّه السامع في الوقت نفسه إلى هذا الأمر، بينما نجد في الجملة الثانية أنّها جملة طلبية أمرية، فتقدير الفعل في جملة الإغراء أدى إلى تغيير في المعنى من جملة إنشائية انفعالية إلى جملة إنشائية طلبية.

ويرى الدكتور عبد القادر مرعي أنّ العنصر الانفعالي العاطفي الموجود في أسلوب الإغراء لا يمكن توضيحه بجملة طلبية، كما لا يمكن توضيحه بغير هذه النبرة الصوتية التي تتضمنها، فجملة الإغراء جملة اسمية تحويلية، جاء التحويل فيها بتغيير الحركة الإعرابية للتعبير عن الإغراء⁽²⁾.

والحقيقة أنّ تقدير فعل في الجملة ما هو إلاّ استجابةً لنظرية النحو العربي التي تقوم على العامل النحوي وتسويغ الحركة الإعرابية بعامل نحوي.

إنّ جملة الإغراء بهذه النظرة المعاصرة هي جملة إنشائية انفعالية أراد منها المتكلم الحث على شيء محبب، وإذا قدرنا لهذه الجملة فعلاً وهو "الزم" سيفقد هذا الأسلوب الدلالة الانفعالية المطلوبة في هذا الأسلوب، وسوف تتحول إلى جملة طلبية تحتل الصدق والكذب، وهذا ما لا تحتمله جملة الإغراء.

(1) بومعزه، رابح، التحويل في النحو العربي، مفهومه، أنواعه، صورته، جدارا للكتاب العالمي،

إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2008، ط1، ص110.

(2) مرعي، أساليب الجملة الإفصاحية، ص110.

4.2 أسلوب النداء:

1.4.2 النداء لغة واصطلاحاً:

النداء لغةً: قال ابن منظور: "النداء": الصوت... وقد "ناداه" و"نادى به" و"ناداه مُناداة، ونداء؛ أي صاح به"، و"أندى الرجل" إذا حَسُنَّ صوته"⁽¹⁾.
أما اصطلاحاً: فهو "تنبيه المدعو ليقبل عليك، أو "التصويت بالمنادى ليعطف على المنادي"⁽²⁾.

أو "هو المطلوب إقباله بحرف ناب مناب "أدعو" لفظاً أو تقديراً"⁽³⁾.
والنداء من الأساليب النحويّة كثيرة الدوران في كلام العرب، إذ يستعمل في أول كل كلام لعطف المخاطب على المتكلم، فهو يشبه الأصوات المستعملة في التنبيه، وبالرغم من كثرة النداء في كلامنا، فهو ليس مقصوداً بذاته، بل جيء به لتنبيه المخاطب إلى ما يأتي بعد الكلام المنادى له: ويقول سيبويه: "إنَّ المنادى مختص بين أمته لأمره، أو نهيك، أو خبرك"⁽⁴⁾.

ويقول: "أول كل كلام النداء، وإنما يترك في بعضه تخفيفاً، وذلك أنَّ سبيل المتكلم أنَّ ينادي من يخاطبه ليقبل عليه، ثمَّ يخاطبه مخبراً له، أو مستفهماً أو أمراً، أو ناهياً"⁽⁵⁾.

والذي قاله سيبويه نجد صداه كثيراً في القرآن الكريم، حيث نجد أنَّ النداء مصحوب بالأمر والنهي، كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّوَاءِ الْمَعْتَدِ﴾⁽⁶⁾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَجًا﴾⁽⁷⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب (ندى): 9/14.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 120/8.

(3) الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، بغداد، طبعة جديدة، د.ت: 182/2.

(4) سيبويه، الكتاب: 231/2.

(5) المرجع نفسه: 25/2.

(6) سورة التحريم، الآية: 7.

(7) سورة البقرة، الآية: 21.

والنداء كأسلوب نحوي يقوم على عنصرين أساسيين، هما: الأداة والمنادى، وذلك نحو: يا زيد.

2.4.2 أحرف النداء:

تقسم أحرف النداء إلى قسمين⁽¹⁾:

القسم الأول: الحروف التي ينادى بها البعيد، وهي: يا، وأي، وهيّا، وأيا.

القسم الثاني: وهو الحروف التي ينادى بها القريب، وهو الهمزة.

أحرف نداء البعيد:

وهي أداة تستخدم في نداء البعيد، وذلك لإمكان امتداد الصوت ورفعها بها⁽²⁾. ويرى الزمخشري أنّ "يا" النداء، وضعت في الأصل لنداء البعيد، ولكنها قد تستخدم لنداء القريب الفطن، فيكون ذلك من المجاز الذي يراد به التأكيد، ويقول: "إنّ" حرف وضع في أصله لنداء البعيد، وهو صوت يهتف به الرجل لمن يناديه... فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد⁽³⁾.

وعند استقراءنا للآيات القرآنية المستخدمة بها أسلوب النداء وجدنا أنّ "يا" النداء هي أعم أحرف النداء استعمالاً في القرآن الكريم، وهذا يدل على أنّ "يا" النداء هي أصل أحرف النداء.

وقد ذكر أبو حيان أنّ "يا" النداء هي أعم أدوات هذا الأسلوب، وأنها قد تتجرّد للتببيه، فيليها المبتدأ، والأمر والتمني والتعليل⁽⁴⁾.

وقد تخرج "يا" النداء إلى عدد من المعاني، فقد ذكر الزمخشري أنها قد تستعمل لنداء القريب أيضاً، وذلك فيمن سها وغفل، وإن كان قريباً تنزيلاً له منزلة

(1) سيبويه، الكتاب: 229/22.

(2) المرجع نفسه: 299/2.

(3) الزمخشري، الكشاف: 244/1.

(4) الأندلسي، البحر المحيط: 212/3.

البعيد، وقال في توجيه قوله تعالى: ﴿ q p o n m l ﴾⁽¹⁾.

فإذا نودي به القريب الفطن، فذلك لتأكيد المنادى بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً، ورأى أنها خرجت للاستهزاء⁽²⁾، فيما جعلها الطبري⁽³⁾ للدعاء والنداء

وحمل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ Ö Ö Ô Ó Ò Ñ Ð ﴾⁽⁴⁾.
"أي":

"أي" هي أداة وضعت لنداء البعيد، ومع ذلك فنجد أن خلافاً بين النحاة في اعتبار "أي" لنداء القريب، أم البعيد، فهناك طائفة من النحاة، ذهبت إلى أنها وضعت لنداء البعيد⁽⁵⁾.

وهناك من يرى أنها لا تصلح أن تكون أداة لنداء البعيد، وإنما تصلح أن تكون أداة لتنبية القريب، وذلك لأن سكون الياء فيها لا يعين على مدّ الصوت ورفعها⁽⁶⁾.

(أيا) و(هيا):

وهما أداتان موضوعتان لنداء البعيد بإجماع النحاة⁽⁷⁾، وهناك من يرى أن "هيا" أصلها "أيا" ودليلهم على ذلك: أولاً: كثرة استخدام "أيا".

وثانياً: أن بعض اللهجات تستبدل "الهزمة" "هاء"، فقالوا: "أيا" و"هيا"⁽⁸⁾.

(1) سورة البقرة، الآية: 21.

(2) الزمخشري، الكشاف: 242/1.

(3) الطبري، جامع البيان: 18/24.

(4) سورة الزمر، الآية: 56.

(5) سيبويه، الكتاب: 229/2، ابن يعيش، شرح المفصل: 15/2.

(6) الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، وزارة التعليم العالي، 1988، ص 277.

(7) سيبويه، الكتاب: 299/2، ابن يعيش، شرح المفصل: 15/2.

(8) سيبويه، الكتاب: 328/2.

أحرف نداء القريب:

(الهمزة):

وتستعمل الهمزة لتنبية القريب المصغي إليك، الذي لا يحتاج إلى مدّ الصوت في ندائه⁽¹⁾. فالهمزة هي أداة لنداء القريب بإجماع النحاة جميعهم لأنها صوت مقطوع لا مدّ فيه، فهي لا تصلح لنداء غير القريب، يقول ابن يعيش: "لا يجوز نداء البعيد بالهمزة لعدم المدّ فيها"⁽²⁾.

3.4.2 أقسام المنادى وحكمه:

يقسم المنادى إلى ثلاثة أقسام⁽³⁾:

القسم الأول: المنادة المفرد، ويكون إما معرفة أو نكرة مقصودة أو غير مقصودة؛ وحكم المنادى المفرد المعرفة، أو النكرة المقصودة، فإنه يبنى على ما يرفع به، فإذا كان يرفع بالضمّة، فإنه يبنى عليها، وأما إذا كان المنادى المفرد نكرة غير مقصودة فحكمه النصب.

القسم الثاني: وهو المنادى المضاف: حكمه الإعرابي النصب، كقولنا "يا غلام محمد".

القسم الثالث: المنادى الشبيه بالمضاف: وحكمه النصب، وذلك نحو قولنا "يا قارئاً كتاباً".

أما علماء اللغة المعاصرون فقد أولوا النداء عناية بالغة في الدراسة، وكانوا حريصين على تخليصه من فكرة العامل التي نادى بها الأوائل.

فيرى برجشتراسر⁽⁴⁾ أنّ النداء ليس جملة، ولا قسم من جملة، ولا يحتاج إلى تركيب إسنادي، وأن سبب النصب في المنادى سبب كونه من التراكيب المقاربة

(1) الزمخشري، الكشاف: 424/2.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 118/8.

(3) سيبويه، الكتاب: 182/2.

(4) برجشتراسر، جوتهلّف، التطور النحوي للغة العربيّة، ترجمة رمضان عبد التّواب، مكتبة

الخانجي، دار الرفاعي، القاهرة، مصر، 1982، ص 81-82.

للتهافت والتصويت، ولكنه لم يغير حكم الرفع في المنادى المفرد المعرفة.
أما إبراهيم مصطفى فيرى أنّ المنادى ليس بمسند إليه، ولا بمضاف، فحقه
النصب، لأنّ "الفتحة" لا تدل على معنى يعكس "الضمة" التي تدل على الإسناد،
و"الكسرة" التي تدل على الإضافة فـ"الفتحة" ليست علامة إعراب، وإنما هي
الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب⁽¹⁾.

ويرى إبراهيم السامرائي أنّ أسلوب النداء من الأساليب الإنشائية التي لا
يمكن أن تكون من قبيل الجملة الفعلية الإسنادية، وليس فيه أي لون من ألوان
الإسناد، وأن تفسير النحاة لأداة النداء بتقدير فعل، نحو "أدعو" أو "أنادي" يعطي
معنى الإسناد كون الجملة فعلية، وطرفاها مسند إليه وهو المتكلم ومسند وهو الفعل
المقدر⁽²⁾.

وقد أدرك النحاة الأوائل هذه الحقيقة من أنّ النداء من الجمل الإنشائية، فنجد
أنّ ابن هشام قد لمح هذه الحقيقة، حيث قال: "إن قولك "يا عبد الله" أصله "يا أدعو
عبد الله"، فـ"يا" حرف تنبيه و"أدعوا" فعل مضارع قصد به الإنشاء لا الإخبار"⁽³⁾.
جملة "يا عبد الله" هي جملة إنشائية في رأيه فيما جملة "أدعو عبد الله" هي
جملة خبرية إسنادية.

وقد نبه ابن جني كذلك إلى فساد نظرية العامل في جملة النداء، وذلك بتقدير
فعل ناصب محذوف في النداء، وذلك لأنّ إظهار هذا الفعل يزيل غرض الكلام
فيحيل معنى النداء ويفسره، إذ يقلبه من الإنشاء إلى الخبر⁽⁴⁾.

(1) إبراهيم، مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1959،
ص50.

(2) السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد،
1983، ص212.

(3) سيبويه، الكتاب، ص32.

(4) ابن جني، الخصائص: 186/1.

وعلى ذلك نجد أنّ النحاة كانوا مضطرين إلى تقدير فعل محذوف، وذلك من أجل إخضاع الكلام لنظرية العامل، وهذا التقدير الذي دعت إليه الصفة النحويّة، قد أفقدت جملة النداء القيمة الجماليّة الانفعاليّة، ويعمل على إضعاف قوة نظمها، ويعمل على تفككها وتحويلها من جملة إنشائيّة إلى جملة خبريّة، وهذا ما لم ترد العرب شيئاً منه في استعمالها اللغوي لهذا الأسلوب النحوي.

4.4.2 حذف أداة النداء:

يرى النحاة أنّ حذف حروف المعاني ليس بالقياس، وذلك لأنّ حروف المعاني جيء بها اختصاراً ونائبة عن الأفعال، ف"ما" النافية نافية بمعنى "أنفي" و"همزة" الاستفهام نائبة عن "استفهم" وحروف العطف نائبة عن "أعطف" وحروف النداء نائبة عن "أنادي" وحذفها مختصراً لها لا يجوز⁽¹⁾.

ومع ذلك ورد حذفها في الكلام عند فوت الدلائل عليها⁽²⁾.

وقد ورد حذف حرف النداء في القرآن الكريم في كثير من المواضع، كقوله

تعالى: ﴿ 3/4 ن أ آ ﴾⁽³⁾، وكثر حذفها في المنادى المضاف لاسيما في

نداء "الرب" سبحانه، كقوله تعالى: ﴿ 7 6 5 4 3 2 1 0 ﴾⁽⁴⁾.

ويرى الزمخشري أنّ حذف أداة النداء فيه تقريب للمنادى من المتكلم

وتلطيف لمحلّه، وحذفت أداة النداء في هذه الآية لأنّ "زكريا" قريب مفاطن للحديث⁽⁵⁾.

وقد تطرق الطبري إلى بعض مسائل الحذف في النداء في مواضع في القرآن

الكريم، ومن ذلك رفضه قراءة من قرأ قوله تعالى: "مالك يوم الدين" فنصب القارئ

(1) الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص 267.

(2) ابن جني، الخصائص: 273/2.

(3) سورة يوسف، الآية: 29.

(4) سورة مريم، الآية: 4.

(5) الزمخشري، الكشاف: 315/2.

مالك بنية الدعاء والنداء، كما قال جل ثناؤه ﴿ 3/4 أ Á ﴾⁽¹⁾، بتأويل يا يوسف أعرض عن هذا.

ويرى الطبري أنّ القارئ قد تورط في قراءة "مالك" بالنصب حيرته في توجيه قوله: ﴿ 2 3 4 5 ﴾⁽²⁾، وجهته مع جر "مالك يوم الدين" وخفضه، فظنّ أنه لا يصح معنى ذلك بعد جرّه "مالك يوم الدين" ليكون له خطاباً كأنه أراد: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين⁽³⁾.

ويقول الطبري إنّ القارئ لو علم تأويل أول السورة: وأن ﴿ & ' ﴾⁽⁴⁾، أمر من الله لعبده لقبيل ذلك⁽⁵⁾.

ويرى أنّ قراءة "مالك" بالنصب محظورة وغير جائزة بإجماع الحجة من الفراء والعلماء على رفض القراءة بها⁽⁶⁾.

أما حذف حرف النداء في "اللهم":

فـ"اللهم" من الأسماء الخاصة بالنداء، وقد كانت موضع خلاف بين أقطاب المدرستين الكوفة والبصرة، فأصلها عند البصريين "يا الله" فحذفت أداة النداء، وعوّض عنها الميم المشددة في آخره، وبُنيت "هاء" على الضم لأنه نداء⁽⁷⁾.

واستدلوا على ذلك أنّ "اللهم" يفيد ما يفيد "يا الله" من معنى النداء، وأن العرب لا تجمع بين العوض والمعوض⁽⁸⁾.

(1) سيبويه، الكتاب: 259/1.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 5.

(3) الطبري، جامع البيان: 153/1.

(4) سورة الفاتحة، الآية: 2.

(5) الطبري، جامع البيان: 153/1.

(6) الطبري، جامع البيان: 153.

(7) سيبويه، الكتاب: 196/2.

(8) الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص 273.

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ "الميم" في "اللهم" ليست عوضاً من "يا" التي للتببيه في النداء، وإنما هي بقية من جملة محذوفة، فأصل "اللهم" عندهم: "يا الله أمنا بخير"، إلا أنه لما كثر في كلام العرب استعمالها وجرت على ألسنتهم حذفوا بعضها تخفيفاً فأصبحت: "يا الله أمنا" ثم حذفت الهمزة من فعل الأمر تخفيفاً، واتصلت "الميم" المشددة باسم "الله" فامتزجا وصارا كلمة واحدة⁽¹⁾.

ولقد ضعّف كثير من النحاة الرأي الذي جاء به الكوفيون، فقد وصف أبو حيان رأيهم بأنه قول سخيّف ولا يحسن أن يقول من عنده علم⁽²⁾.

أما الطّبري فقد أورد الخلاف بين أهل العربيّة في نصب "ميم" اللهم وهو منادى، وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع، وذكر حجة كلا الفريقين، واستصوب الطّبري الرأي القائل بأن الميم هي عوض عن "يا" النداء التي ينادي بها الأسماء فجعلت "الميم" خلفاً عنها في آخر الاسم، فقوله تعالى: "قل اللهم تأويله قل يا محمد: يا الله"⁽³⁾.

5.4.2 المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

إذا كان المنادى مضافاً إلى مضاف إلى الياء، نحو: "يا غلام غلامي" فالياء ثابتة لا غير، ولا يجوز حذفها، ولا قلبها، إلا إذا كان المنادى ابن عم، أو ابن أمّ، أو ابنة عم، أو ابنة أمّ فيجوز فيها أربع لغات، هي⁽⁴⁾:

1. كسر الميم، كقولك: يا ابن عمّ.

(1) السيوطي، همع الهوامع: 178/1.

(2) إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص 275.

(3) الطّبري، جامع البيان: 295/6.

(4) الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص 579.

2. فتح الميم: وقد قرأت السبعة بهما في قوله تعالى: ﴿ > = < ; : ﴾

﴿?﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿i h g f e﴾⁽²⁾.

3. إثبات الياء.

4. قلب الياء ألفاً وبقاؤها في "ابنة عم"، في قول أبي النجم:

يا ابنة عمّا لا تلومي واهجعي

وهاتان اللغتان قليلتان في الاستعمال.

يقول العكبري في قولهم: "يا ابن أمّ، ويا ابن عمّ، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه ركب الاسمين كخمسة عشر فقد جعلوا الاسم اسماً واحداً.

والثاني: أنه أراد "ابن أمّ" فحذف الألف لهزل الكلام اجتزاء بالفتحة وإنما

اختص هذان الاسمان بهذا الحكم في النداء لكثرة استعمالها⁽³⁾.

وقد تناول الطّبري هاتين اللغتين في معرض تأويله لقوله تعالى: ﴿h g﴾

﴿wv ut s r q p o n m l k j i﴾⁽⁴⁾، وقوله

تعالى: ﴿D C B A @ ? > = < ; : ﴾

﴿E﴾⁽⁵⁾.

فقد ذكر الطّبري الاختلاف بين أهل العربيّة في فتح ذلك وكسره مع إجماع

جمعتهم على أنهما لغتان مستعملتان عند العرب، فقرأ أهل البصرة "يا ابن أمّ" بفتح

الميم، وقرأ عامة قراء أهل الكوفة: "ابن أمّ" بكسر الميم⁽⁶⁾.

(1) سورة الأعراف، الآية: 150.

(2) سورة طه، الآية: 94.

(3) العكبري، أبو البقاء (ت: 616هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار

طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1995: 341/1.

(4) سورة طه، الآية: 94.

(5) سورة الأعراف، الآية: 150.

(6) الطّبري، جامع البيان: 129/3.

واستصوب الطّبري القائل "إذا فتحت "الميم" من "ابن أم" فمراد به الندبة: يا ابن أمه، وكذلك من "ابن عم"، فإذا كسرت فمراد به الإضافة، ثم حذفت "الياء" التي هي كتابة اسم المخبر عن نفسه، وكأن بعض من أنكر تشبيه كسر ذلك إذا كسر ككسر الزاي من "خازباز" لأنّ "خازباز"⁽¹⁾ لا يعرف الثاني إلا بالأول، ولا الأول إلا بالثاني، فصار كالأصوات⁽²⁾.

ويرى مصطفى الغلاييني أنّ "يا ابن أم" قرئت بالفتح والكسر، فالكسر على نيّة الباء المحذوفة، والفتح على نيّة الألف المحذوفة التي أصلها ياء المتكلم، ويرى أنّ العرب لا ينون ياء المتكلم، ولا الألف المستقبلة عنها، إلّا في الضرورة⁽³⁾.

5.2 أسلوب الندبة:

1.5.2 الندبة لغة واصطلاحاً:

الندبة لغةً:

جاء في "لسان العرب": "الندبة": أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والجمع: ندب، وأنداب، ونُدُوب، وندب الميت، أي: بكى عليه، وعدّد محاسنه، أي أنّ تدعو النادية بحسن الثناء في قولها: وافلاناها! اسم ذلك الفعل الندبة، وهو من أبواب النحو: كل شيء في ندائه "وا" فهو من باب الندبة⁽⁴⁾.

والمندوب في اصطلاح النحاة هو: "المتفجع عليه" بـ"يا" أو "وا"⁽⁵⁾.

(1) "خاز" و"الباز" صوتان من صوت الذباب، فجعلوا واحداً وبنوا على الكسر ولا يعتبر في الرفع والنصب والجر.

(2) الطّبري، جامع البيان: 130/3.

(3) الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربيّة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1999: 161/3.

(4) ابن منظور، لسان العرب (ندب): 754/1.

(5) الجرجاني، التعريفات، ص 27.

2.5.2 أدوات الندبة:

إنَّ الأدوات التي تستخدم في الندبة هما الأداة "يا" و"وا" وهاتان الأداةان تستخدمان في النداء والندبة، وقد اشترك النحاة في استعمال الأداة "يا" للندبة ألا يكون هناك لبسٌ بين المنادى بـ"يا" والمندوب بـ"يا" فإذا وقع هذا اللبس وجب استخدام الأداة الأولى "وا"⁽¹⁾.

وحكم المندوب: يأخذ المندوب حكم المنادى، فضم في نحو: "وزيدا"، ونصب في نحو: "وا أمير المؤمنين" إلا أنه لا يكون تأخر، ولا بها تأتي اسم الإشارة والاسم الموصول⁽²⁾.

وأسلوب الندبة من الأساليب النَّحويَّة الإنشائيَّة التي يفصح بها المتكلم عن مشاعر الحزن والألم التي تصيبه عند فقد عزيز عليه، غير أنَّ تقدير الفعل في هذا الأسلوب ليحقق عناصر الإسناد وتفسير الحركة الإعرابيَّة قد أفقد هذا الأسلوب دلالاته البلاغيَّة، فأسلوب الندبة مدح المندوب وإظهار محاسنه، وفيه من الأسى والحزن والتوجع الشيء الكثير.

وقد عامل النحاة المندوب معاملة البعيد، ولهم في ندبه مذهبان⁽³⁾، الأول: أنَّ تلمزه في أوله أداة المد "يا" أو "وا" و"وا" هي الغالبة عليه والمختصة به. الثاني: أنَّ يلحق آخره ألف الندبة ليمتد بها الصوت ويرتفع، إذا وقفت على "الألف" ألحقت "الهاء"⁽⁴⁾.

وقد اختلف أهل العربيَّة في هذه الألف في قوله تعالى: ﴿ ! " # \$

% & ') (* + , -)⁽⁵⁾، فقال بعض نحويي البصرة: هذه ألف طبيعيَّة، إذا وقعت قلنا: "يا ويلتاه" وهي مثل ألف الندبة، فلطفت من أن تكون

(1) سيبويه، الكتاب: 220/4.

(2) المرجع نفسه: 52/4.

(3) المرجع نفسه: 240/2.

(4) الطبري، جامع البيان: 398/15-399.

(5) سورة هود، الآية: 72.

في السكت، وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين، وأبعد في الصوت، ذلك لأنّ الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى كنحو الصوت يكون في جوف الشيء، فيتردد فيه، فتكون أكثر وأمتن.

ونقل الطّبري عن جماعة أخرى من النحاة⁽¹⁾ ترى أنّ هذه ألف الندبة، فإذا وقفت عليها فجائز، وإن وقفت على الهاء فجائز أيضاً.

غير أنّ الطّبري استصوب الرأي القائل بأنّ هذه الألف الأخيرة من قوله تعالى: ﴿ ! ﴾⁽²⁾، هي ألف الندبة، وليست أصلية كما يرى بعض نحاة البصرة، وذكر أنّ هذه الأداة يجوز الوقف عليها بهاء السكت ودونها، وقد أجاز حذفها في قوله: ﴿ < ; ﴾⁽³⁾، بشرط أنّ يبقى في الاسم المندوب قيمة تدل عليها، ورأى أنّ ذلك في كلام العرب مذهب جائز لا واجب⁽⁴⁾.

ورأى أبو عبيدة أنّ الوقوف على ألف الندبة تكون واجباً بهذه الهاء كقولك: "يا أسفاه"⁽⁵⁾.

ومن الشواهد التي ذكرها تحت باب ما يسمى الندبة، الاختلاف السابق الذي ذكر في أسلوب النداء في "يا ابن أمّ"، وذكر الطّبري حجة أهل البصرة بفتح الميم في "يا ابن أمّ"، وحجة أهل الكوفة بكسر الميم "ابن أم"⁽⁶⁾.

وكما ذكرت فقد استصوب الطّبري الرأي القائل "إذا فتحت الميم من "ابن أمّ" فمراد به الندبة: يا ابن أمّ، وإذا كسرت فمراد به الإضافة"⁽⁷⁾.

(1) الطّبري، جامع البيان: 399/15.

(2) سورة هود، الآية: 72.

(3) سورة الأعراف، الآية: 150.

(4) الطّبري، جامع البيان: 6/12.

(5) أبو عبيدة، معمر بن المثنى اليميني (ت: 210هـ)، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981، ص213.

(6) الطّبري، جامع البيان: 215/13.

(7) المرجع نفسه: 6/1.

6.2 أسلوب النهي:

1.6.2 النهي لغةً واصطلاحاً:

النهي في اللغة مصدر نهى: إذا زجره وكفه⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح:

طلب الكف عن الفعل استعلاءً، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم⁽²⁾. وتخرج صيغة "لا تفعل" عن دلالتها الأصلية فتفيد معاني بلاغية متنوعة تستفاد من السياق بمعونة القرائن وأحوال التراكيب، وقد لاحظنا في دراستنا لأسلوب الأمر عدداً كبيراً من النصوص تدل على خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية كثيرة، فإننا لا نكاد نعثر إلا على نزر يسير من النصوص التي تشير إلى خروج النهي عن دلالاته الأصلية إلى معانٍ بلاغية أخرى.

2.6.2 معاني النهي في القرآن:

أول من تنبه إلى ظاهرة خروج النهي إلى معانٍ بلاغية أخرى سيبويه، فقد سبق علماء البلاغة في الحديث عن أغراض النهي في اللغة قائلاً "هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها، وذلك: لم، ولما، واللام التي في الأمر. وذلك قولك ليفعل، ما في النهي وذلك قولك لا تفعل، فإنما هي بمنزلة لم، واعلم أن هذه اللام "ولا" في الدعاء بمنزلة في الأمر والنهي وذلك قولك لا يقطع يمينك، وليجزيك الله خيراً"⁽³⁾.

من خلال هذا النص يتضح لنا أن سيبويه قد فطن إلى خروج النهي عن معناه الأصلي إلى معنى الدعاء.

وقد أشار الفراء في كتابه معاني القرآن إلى خروج النهي أيضاً إلى معانٍ بلاغية وذلك أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، ومن هذه المعاني خروج للنهي إلى

(1) ابن منظور، لسان العرب: 564/6.

(2) عتيق، علم المعاني والبيان والبدیع، ص 79.

(3) سيبويه، الكتاب: 141/3.

وأشار الطَّبْرِي إلى خروج الخبر والاستفهام إلى معنى النهي كما في قوله

تعالى: ﴿ ٢٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ﴾

﴿١﴾، يقول الطَّبْرِي: فإن قال قائل كيف قيل "وقولوا للناس حسناً" فأخرج الكلام أمراً ولما يتقدمه أمر بل الكلام جارٍ من أول الآية مجرى الخبر، قيل إن الكلام وإن كان قد جرى في أول الآية مجرى الخبر، فإنه معاً مما يحسن في موضعه الخطاب بالأمر والنهي، فلو كان مكان "لا تعبدون إلا الله" "لا تعبدوا إلا الله" على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره كان حسناً صواباً⁽²⁾، فالطَّبْرِي يرى أن قوله "لا تعبدون" خبر مراد به النهي.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ﴾، يقول الطَّبْرِي في توجيه هذه القراءة بالفرع، لأنه خبر مراد به النهي⁽⁴⁾.

وقد يخرج النهي إلى معنى النصح والإرشاد في قوله تعالى: ﴿ SRQ ﴾

db a ` _ ^] \ [z y xwv u t

﴿h g f e﴾⁽⁵⁾، فقد أشار الطَّبْرِي والزمخشري إلى أن النهي في قوله "لا تعبد" للنصح والإرشاد، والسياق يوضح أدب إبراهيم عليه السلام وتواضعه وإخلاص النصيحة لأبيه خوفاً وإشفاقاً عليه من العذاب، حيث صدرت هذه النصيحة بقوله "يا أبت" توسلاً إليه واستعظماً له، ليصل به إلى طريق الهداية والإيمان⁽⁶⁾.

وأشار الطَّبْرِي كذلك إلى معنى جديد من معاني خروج النهي إلى معنى

الحث والرغبة في الاتصاف بصفة معينة، ففي قوله تعالى: ﴿ y x wv ﴾

(1) سورة البقرة، الآية: 83.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 361/1.

(3) سورة البقرة، الآية: 233.

(4) الطَّبْرِي، جامع البيان: 206/2.

(5) سورة مريم، الآيتين: 44-43.

(6) الطَّبْرِي، جامع البيان: 68/12، والزمخشري، الكشاف: 511/2.

7.2 أسلوب الأمر:

1.7.2 الأمر لغة واصطلاحاً:

والأمر أحد أساليب الإنشاء الطلبي التي يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، وهو طلب على وجه الاستعلاء⁽¹⁾.

ولمادة "أمر" في القرآن الكريم دلالات عديدة: منها: الأمر واحد الأوامر،

بمعنى طلب الفعل، وهو ضد النهي، ومنه قوله تعالى: ﴿w v u t﴾

﴿x﴾⁽²⁾، والأمر بمعنى الشأن واحد الأمور، ومنه قوله تعالى: ﴿e d﴾

﴿g f﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿DCB A@﴾⁽⁴⁾.

وقد فسر الزمخشري الشأن بالطلب والقصد، يقال: شأنت شأنه أي قصدت قصده⁽⁵⁾.

والأمرُ: العجب، أو العظيم المنكر، قال تعالى: ﴿3/4 1/2 1/4﴾ ن

﴿Ā Ā Ā﴾⁽⁶⁾.

وهناك دلالات قرآنية أخرى لمادة "أمر" إلا أننا نجد غلبة الدالتين الأمر بمعنى الشأن، وبمعنى الطلب، فهما أكثر الدلالات وروداً في القرآن الكريم.

أما في اللغة: فقد زادت اللغة على ذلك دلالات يسيرة محدودة، منها:

الأمر النماء والبركة، والأمر بمعنى المعلم والعلامة، قال الأصمعي: الأمار

والأمانة: الوقت والعلامة.

(1) عتيق، علم المعاني والبيان والبدیع، ص 31.

(2) سورة البقرة، الآية: 44.

(3) سورة هود، الآية: 123.

(4) سورة آل عمران، الآية: 154.

(5) الزمخشري، الكشاف: 269/1.

(6) سورة الكهف، الآية: 71.

2.7.2 صيغ الأمر:

للأمر أربع صيغ هي:

1. فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿q p o n m l﴾⁽¹⁾.
2. المضارع بلام الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿I HG FE D﴾.
3. اسم فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ED CB A@ >﴾⁽²⁾.
4. المصدر النائب عن فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿~ وَأَطَعْنَا﴾⁽³⁾.
5. ﴿kj i h g﴾ وقوله تعالى: ﴿(4)﴾⁽⁴⁾.
6. ﴿(5)﴾⁽⁵⁾.

3.7.2 معاني صيغ الأمر:

وتخرج صيغة الأمر من معناها الأصلي فتفيد معاني أخرى تفهم من السياق بمعونة القرائن ومقتضيات الأحوال، وقد أشار سيبويه في الكتاب إلى خروج الأمر عن دلالاته الوضعية إلى بعض المعاني البلاغية، وإن لم يضع لبعضها تسميات من ذلك قوله: "واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي وإنما قيل دعاء لأنه استعظم أن يقال أمر أو نهى، وذلك قولك: اللهم زيذاً فاغفر ذنبه، وزيذاً فأصلح شأنه، وعمراً

(1) سورة البقرة، الآية: 21.

(2) سورة النساء، الآية: 9.

(3) سورة المائدة، الآية: 105.

(4) سورة البقرة، الآية: 285.

(5) سورة الإسراء، الآية: 23.

ليجزه الله خيراً، وتقول: زيدا قطع الله يده، وزيدا أمر الله عليه العيش، لأن معناه زيدا ليقطع الله يده⁽¹⁾. ونجده يشير إلى خروج الأمر إلى معنى التهديد.

يقول: استغاث بهم لينشدوا له كليباً، وهذا منه وعيد وتهديد⁽²⁾.

كما أشار إلى خروج الأمر إلى معنى التسوية تقول: خذ بما عز أو هات كأنه قال: خذ بهذا أو بهذا أي لا يفوتك على كل حال⁽³⁾.

ففي هذه الأمثلة نجد سيبويه يشير إلى خروج الأمر من معناه الأصلي إلى بعض المعاني البلاغية كالدعاء والتهديد والإباحة والتسوية وإن لم يمثل دائماً من القرآن الكريم.

أمّا الفراء فقد أحسّ بفطنته وحسّه البلاغي في الأوامر القرآنية أنها لم تأت دائماً للطلب الجازم على جهة الاستعلاء، وذكر لها بعض المعاني، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽⁴⁾، وهو أمر في اللفظ وليس بأمر في المعنى، لأنّه أخبرهم أنه لن يتقبل منهم، وهو في الكلام بمنزلة "إن" في الجزاء كأنك قلت: إن أنفعت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك، ومثله: ! "# \$ % &⁽⁵⁾، ليس بأمر إنما هو على تأويل الجزاء⁽⁶⁾.

وأشار كذلك إلى خروج الأمر إلى معنى التهديد والتوبيخ والإباحة وذكر أمثلة وشواهد من القرآن الكريم والشعر.

أما المفسرون فقد تنبهوا إلى بعض المعاني البلاغية التي يفيدها الأمر فنجد ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، قد أشار في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه إلى بعض المعاني التي يخرج إليها الأمر، ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو

(1) سيبويه، الكتاب: 141/2.

(2) المرجع نفسه: 184/3.

(3) المرجع نفسه: 184/3.

(4) سورة التوبة، الآية: 53.

(5) سورة التوبة، الآية: 80.

(6) الفراء، معاني القرآن: 441/1.

تهديد كقوله ﴿PO IQ﴾⁽¹⁾، وأن يأتي لفظ الأمر وهو تأديب كقوله: ﴿X

I H GF﴾⁽²⁾، وعلى لفظ الأمر وهو إباحة كقوله: ﴿

U﴾⁽³⁾.

أما الطبري كعادته يعرض لصور البيان وألوان البلاغة في القرآن، ويلتزم عرض الأديب الذائق فلا يجردها من الجمال ولا يعريها من الرواء.

فقد تناول أسلوب الأمر في معرض تفسيره لآيات القرآن الكريم، وأشار إلى خروج الأمر عن دلالاته الأصلية إلى معانٍ بلاغية كالتكذيب والتحدي، كما في قوله

تعالى: ﴿Ç È ÊÉ Ā﴾⁽⁴⁾.

يقول: "قل هاتوا برهانكم أي حجتكم وهذا الكلام وإن كان ظاهره دعاء

القائلين: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى إلى إحضار حجة على دعواهم

ما ادعوا من ذلك فإنه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم وقيلهم لأنهم لم يكونوا

قادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً، وقد أبان قوله: ﴿Ā İ Đ

Ō Ó Ò Ñ﴾⁽⁵⁾، على أن الذي ذكرنا من الكلام بمعنى التكذيب لليهود

والنصارى في دعواهم ما ذكر الله عنهم"⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿Ç È £ ¤ § | ¶ ¸ 9 º ± ° - ®﴾

﴿3 2 ± ° - ®﴾⁽⁷⁾، أشار إلى أن الأمر في هذه الآية الكريمة للتعجيز،

يقول: "إن كنتم صادقين في أن محمداً افتراه فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم

(1) سورة فصلت، الآية: 40.

(2) سورة الطلاق، الآية: 2.

(3) سورة النور، الآية: 33.

(4) سورة البقرة، الآية: 111.

(5) سورة البقرة، الآية: 112.

(6) الطبري، جامع البيان: 393/1.

(7) سورة يونس، الآية: 38.

على الإتيان بها فإن لم تفعلوا فلا شك أنكم كذبتم من زعمكم أن محمداً افتراه لأن محمداً لن يعدو أن يكون بشراً مثلكم فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله فالواحد منهم يعجز عن أن يأتي بجميعه أعجز"⁽¹⁾.

والتعجيز كما في قوله تعالى: ﴿ ۝ ١ ۝ ٢ ۝ ٣ ۝ ٤ ۝ ٥ ۝ ٦ ۝ ٧ ۝ ٨ ۝ ٩ ۝ ١٠ ۝ ١١ ۝ ١٢ ۝ ١٣ ۝ ١٤ ۝ ١٥ ۝ ١٦ ۝ ١٧ ۝ ١٨ ۝ ١٩ ۝ ٢٠ ۝ ٢١ ۝ ٢٢ ۝ ٢٣ ۝ ٢٤ ۝ ٢٥ ۝ ٢٦ ۝ ٢٧ ۝ ٢٨ ۝ ٢٩ ۝ ٣٠ ۝ ٣١ ۝ ٣٢ ۝ ٣٣ ۝ ٣٤ ۝ ٣٥ ۝ ٣٦ ۝ ٣٧ ۝ ٣٨ ۝ ٣٩ ۝ ٤٠ ۝ ٤١ ۝ ٤٢ ۝ ٤٣ ۝ ٤٤ ۝ ٤٥ ۝ ٤٦ ۝ ٤٧ ۝ ٤٨ ۝ ٤٩ ۝ ٥٠ ۝ ٥١ ۝ ٥٢ ۝ ٥٣ ۝ ٥٤ ۝ ٥٥ ۝ ٥٦ ۝ ٥٧ ۝ ٥٨ ۝ ٥٩ ۝ ٦٠ ۝ ٦١ ۝ ٦٢ ۝ ٦٣ ۝ ٦٤ ۝ ٦٥ ۝ ٦٦ ۝ ٦٧ ۝ ٦٨ ۝ ٦٩ ۝ ٧٠ ۝ ٧١ ۝ ٧٢ ۝ ٧٣ ۝ ٧٤ ۝ ٧٥ ۝ ٧٦ ۝ ٧٧ ۝ ٧٨ ۝ ٧٩ ۝ ٨٠ ۝ ٨١ ۝ ٨٢ ۝ ٨٣ ۝ ٨٤ ۝ ٨٥ ۝ ٨٦ ۝ ٨٧ ۝ ٨٨ ۝ ٨٩ ۝ ٩٠ ۝ ٩١ ۝ ٩٢ ۝ ٩٣ ۝ ٩٤ ۝ ٩٥ ۝ ٩٦ ۝ ٩٧ ۝ ٩٨ ۝ ٩٩ ۝ ١٠٠ ۝ ﴾

3/4 1/2 ﴿٢﴾، يقول: "قال الله جل ثناؤه وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك وهو الريب مما نزلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور والبرهان وآيات الفرقان أنه من عندي وأنا الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول فأتوا بحجة تدفع حجته لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق ومن حجة محمد ﷺ على صدقه وبرهانه على نبوته وأن ما جاء به من عندي عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن يأتوا بسورة من مثله، وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز"⁽³⁾.

ونلاحظ التحليل المبسط بعبارات سهلة بارعة عند الطبري.

وأشار إلى أن الأمر يفيد التهديد في قوله تعالى: ﴿ ۝ ١ ۝ ٢ ۝ ٣ ۝ ٤ ۝ ٥ ۝ ٦ ۝ ٧ ۝ ٨ ۝ ٩ ۝ ١٠ ۝ ١١ ۝ ١٢ ۝ ١٣ ۝ ١٤ ۝ ١٥ ۝ ١٦ ۝ ١٧ ۝ ١٨ ۝ ١٩ ۝ ٢٠ ۝ ٢١ ۝ ٢٢ ۝ ٢٣ ۝ ٢٤ ۝ ٢٥ ۝ ٢٦ ۝ ٢٧ ۝ ٢٨ ۝ ٢٩ ۝ ٣٠ ۝ ٣١ ۝ ٣٢ ۝ ٣٣ ۝ ٣٤ ۝ ٣٥ ۝ ٣٦ ۝ ٣٧ ۝ ٣٨ ۝ ٣٩ ۝ ٤٠ ۝ ٤١ ۝ ٤٢ ۝ ٤٣ ۝ ٤٤ ۝ ٤٥ ۝ ٤٦ ۝ ٤٧ ۝ ٤٨ ۝ ٤٩ ۝ ٥٠ ۝ ٥١ ۝ ٥٢ ۝ ٥٣ ۝ ٥٤ ۝ ٥٥ ۝ ٥٦ ۝ ٥٧ ۝ ٥٨ ۝ ٥٩ ۝ ٦٠ ۝ ٦١ ۝ ٦٢ ۝ ٦٣ ۝ ٦٤ ۝ ٦٥ ۝ ٦٦ ۝ ٦٧ ۝ ٦٨ ۝ ٦٩ ۝ ٧٠ ۝ ٧١ ۝ ٧٢ ۝ ٧٣ ۝ ٧٤ ۝ ٧٥ ۝ ٧٦ ۝ ٧٧ ۝ ٧٨ ۝ ٧٩ ۝ ٨٠ ۝ ٨١ ۝ ٨٢ ۝ ٨٣ ۝ ٨٤ ۝ ٨٥ ۝ ٨٦ ۝ ٨٧ ۝ ٨٨ ۝ ٨٩ ۝ ٩٠ ۝ ٩١ ۝ ٩٢ ۝ ٩٣ ۝ ٩٤ ۝ ٩٥ ۝ ٩٦ ۝ ٩٧ ۝ ٩٨ ۝ ٩٩ ۝ ١٠٠ ۝ ﴾

﴿٤﴾، يقول تعالى ذكره تهديداً ووعيداً للمكذبين بالبعث كلوا في بقية آجالكم وتمتعوا ببقية أعماركم إنكم مجرمون"⁽⁵⁾.

(1) الطبري، جامع البيان: 82/11.

(2) سورة البقرة، الآية: 23.

(3) الطبري، جامع البيان: 128/1.

(4) سورة المرسلات، الآية: 46.

(5) الطبري، جامع البيان: 294، 149.

ويرى أن الأمر أفاد الإباحة في قوله تعالى: ﴿ ¼ ½ ¾ ن Á ﴾⁽¹⁾،
يقول الطَّبْرِي: معنى قوله: "كلوا من طيبات ما رزقناكم" من حلاله الذي أبحناه لكم
فجعلناه لكم رزقاً"⁽²⁾.

وأشار إلى خروج الأمر إلى معنى السخرية والاستهزاء في قوله تعالى:

﴿ ä ā â á à ß Þ Ý ﴾⁽³⁾.

يقول الطَّبْرِي "وأولى الأقوال في ذلك عند الصواب أن يقال إن القوم سألوا
ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن
يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاءً بوعيد الله"⁽⁴⁾.

هذه بعض المعاني البلاغية للأمر في تفسير الطَّبْرِي وهي غيض من فيض،
ولا شك أن كثيراً من المفسرين قد تأثروا بالطَّبْرِي في كثير من تحليلاته وآرائه،
وقراءة يسيرة في تفسير الكشاف نلحظ مدى تأثر الزمخشري بالطَّبْرِي وهناك أمثلة
كثيرة تدل دلالة قاطعة على تأثر الزمخشري بالطَّبْرِي، نكتفي بإيرادها بعضها، من
ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ' ()

: 9 8 7 6 4 3 2 1 √ . - , + *

;⁽⁵⁾، يقول تعالى: ذكره لنبيه محمد ﷺ أدع لهؤلاء المنافقين الذين وصف

صفتهم في هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الأمر
تأويله الخبر ومعناه إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم"⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة، الآية: 57.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 237/1.

(3) سورة ص، الآية: 16.

(4) الطَّبْرِي، جامع البيان: 86/23.

(5) سورة التوبة، الآية: 80.

(6) الطَّبْرِي، جامع البيان: 136/10.

وينقل الزمخشري في تفسير هذه الآية ما ذكره الطبري إذ يقول: "وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر، كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم" (1).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ

« a ﴿ (2)، يقول الطبري: "وخرج قوله أنفقوا طوعاً أو كرهاً مخرج الأمر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك في الأماكن التي يحسن فيها "إن" التي بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم" فهو في لفظ الأمر ومعناه الخبر، فكذاك قوله: "أنفقوا طوعاً أو كرهاً" إنما معناه: إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً ولن يتقبل منكم" (3).

ونجد كذلك أن الزمخشري يردد ما ذكره الطبري إذ يقول: "فإن قلت كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال "لن يتقبل منكم" قلت هو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى: ﴿± 3 2 ˆ 1 ﴿ (4)، ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً، ونحو قوله تعالى: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم"، وقوله أسئء بنا أو أحسني لا ملومة، أي لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم" (5).

ويقول الطبري مفسراً قوله تعالى: ﴿ ~ الْمُنَافِقِينَ

﴿ a © ˆ 3 2 ± ° - ④ «

﴿ (6)، يقول: "بشر المنافقين أي أخبر المنافقين... " (7).

(1) الزمخشري، الكشاف: 204/2.

(2) سورة التوبة، الآية: 53.

(3) الطبري، جامع البيان: 107/10.

(4) سورة مريم، الآية: 75.

(5) الزمخشري، الكشاف: 195/2.

(6) سورة النساء، الآية: 138-139.

(7) الطبري، جامع البيان: 211/5.

ونجد أن الزمخشري قد استفاد من تفسير الطبري لهذه الآية، فنجده يقول:
"وضع بشرّ مكان أخبر تهكماً بهم"⁽¹⁾، وهناك أمثلة كثيرة نجد أن الزمخشري قد نسج
على منوال الطبري وسار على خطاه، ولكننا نكتفي بهذا القدر للإشارة إلى أن
الطبري كان له معجبون كثير قد تبنا آراءه دون أن ينسبوا له ربما لأنهم ظنوا أن
العلم ملكٌ للجميع يؤخذ منه ما يؤخذ ويترك ما يترك.

هذه آراء النحاة والمفسرين القدماء في أسلوب الأمر والمعاني التي يخرج
إليها، والتي تقتضيها الصياغة والتراكيب.

أما لو تطرقنا لوجهة نظر علم اللغة المعاصر نجد أن أسلوب الأمر وفق
المنهج التحويلي أسلوب قد يحذف فيه الفعل مع الفاعل بدلالة اسم منصوب، يكون
فيه حثٌّ على العمل به، نحو قولهم: "امراً ونفسه" فالمقدر في البنية العميقة: "دع
امراً ونفسه". ومنه قوله تعالى: ﴿ F E D ﴾⁽²⁾، فالمقدر مع الفعل
المحذوف في البنية العميقة، "انتهوا عن ذلك وأتوا خيراً لكم" فبحذف فعل الأمر من
التركيب بدلالة السياق "انتهوا" وإضمار المركب الحرفي "عن ذلك" تكون البنية
السطحية كما جاءت في الآية.

(1) الزمخشري، الكشاف: 577/2.

(2) سورة النساء، الآية: 171.

الفصل الثالث الأساليب النحويّة الخبريّة

1.3 أسلوب النفي:

1.1.3 النفي لغة واصطلاحاً:

النفي لغة: هو الإزالة، أما اصطلاحاً فالمقصود به نفي الحكم. ويعرف عمايرة النفي بقوله: "هو باب من أبواب المعنى، يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه"⁽¹⁾.

أما لفظ النفي عند الطّبري فهو من المصطلحات قليلة الاستعمال، فقد كان الطّبري يستخدم مصطلح الجحد، ومن ذلك ما قاله في تفسيره قوله تعالى: ﴿؟

@ BA C﴾⁽²⁾، حيث قال: "لو كان كما قال الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ أن يقال: ولا الضالين، لأنّ "لا" نفي وجحد ولا يعطف بنفي أو جحد"⁽³⁾.

والنفي من الأساليب اللغويّة كثيرة الدوران في الكلام، بأساليبه وأدواته المتعددة، فالنفي يكون بالحرف، ويكون بالفعل، ويكون بالاسم، وبالرغم من تميز أنواعه وأساليبه، فلم نجد للنفي باباً مستقلاً منفرداً كغيره من الأساليب النحويّة الأخرى، فقد تناوله النحاة مفرقاً على أبواب الإعراب.

ويرى إبراهيم مصطفى أنّ أغلب أدوات النفي لم تدرس منفردة، مستقلة بل كانت منشورة في أبواب مختلفة، فـ"ليس" كأداة للنفي درست في باب "كان" لأنّها تعمل عملها، على أنّ "كان" للإثبات و"ليس" للنفي، و"ما" و"إن" درست في باب الحق بـ"كان"؛ لأنهما يمثّلتانها في العمل أحياناً، و"لا" درست ملحقة بـ"كان" ثم تابعه

(1) عمايرة، أسلوبا النفي والاستهام في العربيّة، ص56.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 7.

(3) الطّبري، جامع البيان: 61/1.

"لأنَّ" و"غير" و"إلَّا"، و"ليس" درست ملحقة في باب الاستثناء، و"لن" في نصب الفعل و"لم" و"لما" في جزمه⁽¹⁾.

ويرى أنها لو جمعت هذه الأدوات في باب واحد، وقورنت أساليبيها، ووزن بينها وبين ما ينفي للحال، وما ينفي للماضي، وما يكون نفيًا لمفرد، وما يكون نفيًا لجملة، وما يخص الاسم، وما يخص الفعل، وما يتكرر لأحطنا بأحكام النفي⁽²⁾.

2.1.3 أدوات النفي:

هناك من قسّم أدوات النفي إلى ثلاثة أقسام⁽³⁾:

1. أدوات تختص بالأسماء، مثل: "ليس" و"لأن".

2. أدوات تختص بالأفعال، مثل: "لم"، "لما"، "لن".

3. وأدوات تستعمل مع الأسماء والأفعال، مثل: "ما"، و"لا"، و"إن".

وستتقف الدراسة على بعض هذه الأدوات، والتي تطرق إليها الطبري في تفسيره، وتوضح آراء النحاة القدماء، ورأي الطبري من خلال تفسيره، ورأي المحدثين من خلال علم اللغة المعاصر.

1.2.1.3 الأدوات التي تختص بالأفعال "لم" و"لما":

لم: حرف يختص بنفي المضارع، وقلب زمنه من الحال والانتقال إلى الماضي، ويكون الفعل بعده مضارعاً في صورته وإعرابه، وماضياً في زمنه⁽⁴⁾. ويرى بعض النحاة أنّ "لم" في أصلها مكونة من "اللام" و"الميم"، وهناك من يرى أنّ "لم" أصلها "لا" ثم أبدلت الألف ميماً، وهي تدخل على الفعل المضارع

(1) مصطفى، إحياء النحو، ص4-5.

(2) المرجع نفسه، ص5.

(3) عمارة، أسلوب النفي والاستفهام في العربية، ص75.

(4) المرادي، حسن بن عبد الله ابن أم قاسم (ت: 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني،

تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، حلب، 1973، ص267.

فتترك أثراً في المبني، وهو السكون على آخره، وآخر في المعنى⁽¹⁾.
وذكر المبرد أن "لم" هي "تفي الفعل الماضي ووقوعها على المستقبل من أجل
أنها عاملة، وعملها الجزم، ولا جزم إلا لمعرب⁽²⁾.

وتمتاز أداة النفي "لم" بعدة سمات مميزة لها في التركيب والدلالة⁽³⁾:

1. تدخل "لم" على الفعل المضارع فتنتفيه وتقلبه إلى الماضي، وهناك من رآها
تدخل على الماضي فتقلب لفظه إلى المضارع.

2. حدّ الزمن في تركيب "لم" هو حال المتكلم، لذا يصح أن تقول: "لم يقيم زيد
أمس"، لأن "لم" ومنفيها تستغرق الماضي حتى تصل إلى الحاضر فيوقف
فعلها عندها.

وقد وافق عمارة النحاة على اعتبار "لم" أداة لنفي الحكم المثبت، وقلبه إلى
معنى الزمن الماضي، ويرى أنها غالباً ما تكون للنفي المطلق في الماضي، إلا إذا
دخل في الجملة قيد يصرفها⁽⁴⁾.
"لما":

هي حرف مختص بالفعل، تنفيه وتجره وتصرف معناه إلى المعنى المخالف،
وتستخدم في اللغة لعدة معان.

وقد اختلف النحاة في أصل "لما" هل هي أداة قائمة بذاتها؟ أم هي أداة مركبة،
فالفرء يرى أن "لما" كأنها "لم" ضمت إليها "ما" فصارا جميعاً لمعنى "إن" التي تكون
جداً⁽⁵⁾. وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من العلماء، فيقول الأشموني: أن "لما"
مركبة من "لم وما"⁽⁶⁾.

(1) عمارة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، ص 89.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب: 277/1.

(3) فارس، محمد عيسى، النفي اللغوي بين الدلالة والتركيب في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة
ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، 1984، ص 161.

(4) عمارة، أسلوبا النفي والاستفهام، ص 90.

(5) الفرء، معاني القرآن: 222/1.

(6) الأشموني، علي بن محمد (ت: 900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997: 578/3.

وقد وافق الطَّبْرِي في تفسيره النحاة الأوائل على اعتبار "لَمَّا" هي نفسها "لَمْ"
 واعتبر الطَّبْرِي الثانيةً أصلاً للأولى، وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ |
 § ٠٠ © « a - ﴿ f ١ ﴾ (1)، فقال: "فإن عامة أهل
 العربية يتأولونه بمعنى "لم يأتكم" ويزعمون أن "ما" صلة وحشو (2).
 إلا أن أبا حيان قد فرق بين "لم" و"لَمَّا" من حيث الدلالة، فقال: بأن "لَمَّا" أبلغ
 في النفي من "لم" لأنها تدل على نفي الفعل متصلاً بزمن الحال، فهي لنفي
 المتوقع (3).

إلا أننا نجد هناك من النحاة المعاصرين من خالف النحاة الأوائل والمفسرين
 في اعتبار "لَمَّا" هي نفسها "لم"، فنرى عميرة يخالف هذا الرأي بقوله (4): "إنَّ "لَمَّا"
 هي أداة قائمة بذاتها، وليست مركبة من أداتين، وضعت لتفيد معنى آخر غير
 المعنى الذي تفيد "لم"، وقد مثل على الفرق بين "لَمَّا" و"لم" من خلال المثالين التاليين:
 1. لم يحضر ← وقد انقطع الرجاء في حضوره.

2. لَمَّا يحضر ← وما يزال الرجاء قائماً.

2.2.1.3 الأدوات التي تستعمل مع الأسماء والأفعال (لا، ما):

لا:

وهي من أدوات النفي التي وقع فيها خلاف بين النحاة، فنجد من قال إنها
 تأتي لنفي المستقبل، يقول سيبويه: "لا" نفي لقوله يفعل ولم يقع الفعل، فنقول: لا
 يفعل (5).

(1) سورة البقرة، الآية: 214.

(2) الطَّبْرِي، تفسير الطَّبْرِي: 341/2.

(3) الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: محمد منير الدمشقي، القاهرة، 1973:
 140/2.

(4) عميرة، أسلوبا النفي والاستفهام، ص96.

(5) سيبويه، الكتاب: 222/4.

وهناك فريق آخر يقول أنها لنفي الحال والمستقبل، ويُنفى بها الماضي واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿UTS R﴾⁽¹⁾.

وهناك فريق ثالث من النحاة يرى أنّ "لا" لمطلق النفي وليس بالضرورة أنّ تكررهما إن دخلت على الماضي، فكثرة استعمال "لا" مكررة دفع النحاة إلى وجوب تكررهما إذا دخلت على الفعل الماضي⁽²⁾.

أما الطبري فقد جعل "لا" لنفي الحال، وجعلها بمعنى "ليس"، وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿3/4 نِ أَ آ﴾⁽³⁾، فقد أوّل "لا" بمعنى "ليس"⁽⁴⁾.

ووافق القرطبي الطبري على اعتبار "لا" لنفي الحال، وبمعنى "ليس" وحمل قوله تعالى: ﴿y x wvuts﴾⁽⁵⁾.

وقال: ومن رفع جعل "لا" بمعنى "ليس" وجعل الجواب غير عام، وكأنه جواب من قال: هل فيه بيع؟⁽⁶⁾.
"ما":

يرى علماء النحو القدماء أنّ "ما" حرف يدخل على الجملة الفعلية ولا تعمل شيئاً، وهي تدخل على الماضي والمضارع⁽⁷⁾.

وهناك من يرى أنها تستعمل مع الأسماء والأفعال، فـ"ما" لفظ مشترك بين الاسميّة والفعلية والحرفيّة⁽⁸⁾.

(1) سورة القيامة، الآية: 31.

(2) الفرّاء، معاني القرآن: 264/3.

(3) سورة آل عمران، الآية: 120.

(4) الطبري، جامع البيان: 68/4.

(5) سورة البقرة، الآية: 254.

(6) القرطبي، تفسير القرطبي: 267/2.

(7) سيبويه، الكتاب: 57/1، ابن هشام، مغني اللبيب: 33/1.

(8) المرادي، الجنى الداني، ص 27.

ويرى الطّبري أنه "يأتي بعد "ما" الفعل والاسم، غير أنّ طلبها الاسم أكثر من طلبها الفعل"⁽¹⁾.

وهي لنفي الحال إذا دخلت على المضارع ولنفي الماضي إذا دخلت على فعله⁽²⁾.

وقد قسمّ النحاة "ما" النافية إلى قسمين: قسمٌ يدخل على المبتدأ والخبر وقسم لا يدخل عليها.

أمّا القسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر ففيه مذهبان، مذهب أهل الحجاز، ومذهب تميم وغير أهل الحجاز⁽³⁾.

فأهل المذهب الأول يجرونها مجرى "ليس" فيرفعون بها المبتدأ، وينصبون بها الخبر، وقد أعمل هؤلاء "ما" عمل "ليس"، لأنها شبهها في الدلالة على نفي الحال، ولدخولها على المبتدأ والخبر، وزاد بعضهم اشتراكها في دخول الباء في خبر كل منهما⁽⁴⁾.

أما المذهب الثاني: فإنهم يرفعون بعدها المبتدأ أو الخبر على الأصل، فهي عندهم غير مختصة بالأسماء والأفعال، وما لا يختص لا عمل له⁽⁵⁾.

وهناك من رأى أنّ "ما" بمعنى "لم" فقد نقل الطّبري في تفسيره عن ابن عباس

أنّ "ما" جاءت بمعنى "لم" وذلك في قوله تعالى: ﴿ 4 3 2 1 0 / ﴾

﴿ 6 5 ﴾⁽⁶⁾، أي لم ينزل الله عز وجل السحر على الملكين⁽⁷⁾.

(1) الطّبري، جامع البيان: 374/2.

(2) سيبويه، الكتاب: 205/1.

(3) المالقي، أحمد عبد النور، (ت: 702هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني،

تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا، ط2، (د.ت)،

ص209.

(4) المرجع نفسه، ص310.

(5) المرجع نفسه، ص379-380.

(6) سورة البقرة، الآية: 102.

(7) الطّبري، جامع البيان: 452/1.

وبالرغم من أنّ الطّبري قد أورد هذا المعنى لـ"ما" نقلاً عن ابن عباس إلّا أنّه قد خالفه في جعل "ما" في هذه الآية موصولة بـ"لا" النافية⁽¹⁾.

أمّا عن وجهة علم اللغة المعاصر، فـ"ما" من أدوات النفي التي تعدّ عنصراً تحويلياً في الجملة، تنتقل المعنى من الإثبات إلى النفي، غير أنّ سمة الزمن ليست ثابتة، فهي تتغير بتغير ما تدخل عليه هذه الأداة، فتدخل على الماضي، أو المضارع، أو الجملة الاسميّة، فيؤدي كل تركيب دلالة نفسية خاصة.

ويرى عمايرة أنّ "ما" سواء كانت عاملة أم غير عاملة فهي نافية، والذي لا خلاف فيه أنها تنفي الفعل الذي تدخل عليه، وهي من عناصر التحويل، التي تدخل على الجملة الاسميّة، وعلى الجملة الفعلية، ولتقوم بتحويل الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية اسمية أو فعلية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿b c ed f﴾⁽²⁾، فالأصل التوليدي لهذه الجملة هو "آمن قرية" ثم أضيف إليها قيد زمني "قبلهم" ثم أضيف عنصر تحويل آخر لتوكيد الفاعل "من" ثم دخل عليها عنصر التحويل "ما" وذلك لنفي الحدث⁽³⁾.

2.3 أسلوب التوكيد:

1.2.3 مفهوم التوكيد:

التوكيد لغة:

ورد في المعجم الوسيط: "وكد" بالمكان "يكذُ وكوداً" أقام به والعقد أوثقه وأحكمه وتوكد: اشتد وتوثق، والمتوكد: القائم المستعد للأمر⁽⁴⁾.

(1) الطبري، جامع البيان: 455/1.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 6.

(3) عمايرة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، ص98-100.

(4) أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، ط2، 1972: 1053/2.

قال الزبيدي⁽¹⁾: "التوكيد" بالواو "أفصح من التأكيد بالهمز، ويقال: وكدت اليمين والهمز في العقد أجود، نقول إذا عقدت فأكد، وإذا حلفت فوكد. ونلاحظ مما تقدم أن للتوكيد لغتين: بالواو، والهمز، ولكنها بالواو أفصح، ومما يدل على ذلك ورودها في القرآن الكريم بالواو في قوله تعالى: ﴿b c ed f﴾⁽²⁾، ويشير المعنى اللغوي للفظة التوكيد إلى الشدة والإحكام وتثبيت الشيء وتوثيقه، وعلى أية حال فالتوكيد أو التأكيد لغتان مستعملتان في العربية بالمعنى نفسه.

التوكيد اصطلاحاً:

التوكيد من المواضع النحويّة الشائعة في العربية، وله أساليب كثيرة، فنجد في كتب النحاة أساليب التوكيد باللفظ، وبالقسم، وبالأدوات المختلفة "إنّ، إنّما، لكن، وب، واللام، وقد، ونون التوكيد" وبالزيادة، وبالترتيب، والاشتغال، وبالمصدر⁽³⁾. ولو تتبعنا تعريفات النحاة لمصطلح التوكيد نجد أنهم قد أوردوا له تعريفات كثيرة منها:

التوكيد: لفظ يتبع الاسم المؤكد في إعرابه لرفع اللبس، وإزالة الاتساع⁽⁴⁾.
وقيل: "التوكيد": تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول⁽⁵⁾.

-
- (1) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس، د.ط: 320/9، فصل الواو من باب الدال.
- (2) سورة النحل، الآية: 91.
- (3) عميرة، خليل أحمد، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987، ص210-227.
- (4) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، اللع في العربية، تحقيق: حامد مؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة، بيروت، لبنان، ط2، ص66.
- (5) ابن الحاجب، جمال الدين (ت: 646هـ)، الكافية في النحو، شرح الشيخ الأستراباذي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1985: 328/1.

وقد ذكر الأشموني أنّ التّوكيد هو في الأصل مصدر ويسمى به التابع المخصوص، ويقال أكدّ، تأكّيداً، ووكّدّ توكيداً، وهو بالواو أكثر⁽¹⁾.
أما بالنسبة لمفهوم التّوكيد عند علماء اللغة المحدثين فنجد أنه لا يختلف كثيراً عما جاء به النحاة القدماء.

فهذا فاضل السامرائي يقول: "التّوكيد يفيد تقويّة المؤكّد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه"⁽²⁾.

أما محمد عيد فيرى أنّ التّوكيد "هو استخدام طرق خاصة، لتقويّة الكلام السابق وتثبيته سواء بإعادة اللفظ نفسه، أم استعمال كلمات خاصة لتثبيت المعنى مع إزالة الشبه عنه"⁽³⁾.

ونجد لإبراهيم مصطفى رأياً يخالف سابقه ومعاصريه من النحاة في تعريف التّوكيد يقول: وليس بوجه أنّ يفرق بين التّوكيد والبدل، فإنه أسلوب واحد أنّ تقول: جاء القوم بعضهم، أو جاء القوم كلهم، والأول عندهم بدل والثاني توكيد، وكل ما يمكن أنّ يبرر به عدّ التّوكيد تابعاً خاصاً وأن يفرد باب لدرسه هو أنه نوع من البدل جاء بكلمات خاصة"⁽⁴⁾.

2.2.3 وظيفة التّوكيد:

يؤدي التّوكيد وظائف وأغراضاً كثيرة تخدم السياق الذي يوجد فيه، فمنها رفع اللبس، وإزالة الاتساع، وتمكين المعنى في النفس، وتقويته وإفادة التحقيق سلباً أو إيجاباً.

(1) أبو الحسن، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك: 334/1.

(2) السامرائي، فاضل صالح، معاني النّحو، جامعة بغداد، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1960: 509/4.

(3) عيد، محمد، النّحو المصفي، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975، ص 587.

(4) إبراهيم، إحياء النّحو، ص 124.

وكذلك من وظائفه أنه يدفع توهم السامع من أن المتكلم وضع العام موضع الخاص نحو "جاء بنو فلان كلهم" ولم يرد أن يخص بالمجيء بعضاً دون بعض ولولا ذلك التوكيد، لأمكن اعتقاد غير ذلك⁽¹⁾.
كما إن التوكيد يؤدي دوراً في تقوية المعاني ورعاية الانسجام بين المواقف المختلفة⁽²⁾.

3.2.4 أقسام التوكيد:

ينقسم التوكيد إلى عدة أقسام يشمل كلاً من: التوكيد بالترار، ويشمل التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، والتوكيد بالأنواع الملحقة بالترار، مثل توكيد الفعل بالمصدر، والتوكيد بالحال، والتوكيد بالوصف، والتوكيد بالعطف، والتوكيد بالبدل، وهناك التوكيد بالأداة مثل إن، أن، لكن، كأن... الخ".
التوكيد بالترار:

يقسم إلى قسمين: لفظي ومعنوي.

1. التوكيد اللفظي:

وقد أشار سيبويه إلى هذا النوع، فرأى أن اللفظ "الاسم، والظرف، والجملة" إذ كرر كان توكيداً. تقول: لقيت عمراً عمراً، فتؤكد الاسم بتثنيته وتكريره، وتؤكد الجار والمجرور: عليك زيد حريص عليك⁽³⁾.

وقد عرفه النحاة الذين تبعوه فقالوا: "هو إعادة اللفظ، أو تقويته على حسب ما تقدم ويكون في المفرد والجملة"⁽⁴⁾.

وبناءً على ما تقدم فإن التوكيد اللفظي ينقسم إلى الأقسام التالية:

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، البيان في شرح اللمع، تحقيق: علاء الدين حمويّة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص278.
(2) المطردي، عبد الرحمن، أساليب التوكيد في القرآن، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، بنغازي، 1986، ص15.

(3) سيبويه، الكتاب: 125/2-126.

(4) ابن الحاجب، الكافية في النحو: 344/2.

أ. توكيد الاسم:

فالاسم قد يؤكد بالاسم، وقد ورد هذا النوع من التوكيد كثيراً في القرآن

الكريم، ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: ﴿a © ·· § ﴾⁽¹⁾.

وقد أورد الطبري في تفسيره أمثلة على مثل هذا النوع من التوكيد، ومنها قوله تعالى: "تلك عشرة كاملة"، حيث قال الطبري: واختلف أهل التأويل في تأويل "كاملة" فقال بعضهم معنى ذلك فصيام الثلاثة أيام في الحج، والسبعة الأيام بعد ما يرجع إلى أهله عشرة كاملة.

وقال آخرون: "بل معنى ذلك كملت لكم أجر من أقام على إحرامه، ولم يحل ولم يتمتع تمتعكم بالعمرة إلى الحج"، وقال آخرون: "معنى ذلك: الأجر وإن كان مخرجه مخرج الخبر، وإنما عني بقوله "تلك عشرة كاملة" تلك عشرة أيام، فأكملوا صومها، ولا تصروا عنها، لأنه فرض عليكم صومها"⁽²⁾.

ويرى الطبري أن معنى قوله تعالى "كاملة" هو توكيد للكلام، وكما يقول القائل: سمعته بأذني، ورأيت به عيني⁽³⁾.

ب. توكيد الفعل:

وهذا النوع من التوكيد كان موضع خلاف بين النحاة الذين تناولوا إعراب القرآن الكريم، فأغلب كتب إعراب القرآن الكريم جازمت بعدم ورود هذا النوع من التوكيد في القرآن الكريم⁽⁴⁾.

إلا أن ابن خالويه قد أورد شواهد على توكيد الفعل، فقد جعل من قوله تعالى:

﴿mi k z ﴾⁽⁵⁾، تكرير الفعل "قمهّل، وأمهلهم" من باب توكيد⁽⁶⁾.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 36.

(2) الطبري، جامع البيان: 109/4.

(3) المرجع نفسه: 110/4.

(4) الكرباسي، محمد جعفر، إعراب القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2001: 695/8.

(5) سورة الطارق، الآية: 17.

(6) ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار مكتبة

الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، 1985، ص167.

وقد وافق الطّبري ابن خالويه في ورود توكيد الفعل في القرآن الكريم، ومن الأمثلة التي اعتبرها من باب توكيد الفعل قوله تعالى: ﴿ ١ ٥ ١/٢ ١/٤ ﴾⁽¹⁾، فالفعل "رأيتهم" هو توكيد لفظي للفعل "رأيت".

وقد وافق الدكتور أحمد مختار البرزة الطّبري على اعتبار "رأيتهم" في الآية السابقة توكيد بلا خلاف، وهي تأكيد لرؤيته كل ما ذكر فيقع التوكيد للعامل الأول "رأيت" ومعمولاته كلها⁽²⁾.

ومن الشواهد التي حملها الطّبري في تفسيره على توكيد الفعل: قوله تعالى: ﴿ 7 6 9 8 : < ; = > ? @ A ﴾⁽³⁾، فقد جاءت جملة "وأنتم تنظرون" على وجه التوكيد للكلام، كما يقال رأيتُه بعيني وسمعته بأذني⁽⁴⁾، وهذا النوع من التوكيد لا يكون فيه لفظ المؤكّد من جنس اللفظ المؤكّد، بل جاء التوكيد بجملة لها وظيفة نحوية هي توكيد الفعل السابق لها. ووافق أبو حيان في محيطه الطّبري في عدّ قوله تعالى: "وأنتم تنظرون" هي جملة حالية للتأكيد⁽⁵⁾.

والتوكيد بالفعل وفق العلم اللساني المعاصر هو جملة تحويلية جرى فيها التحويل على النحو الآتي، مثال: "اشرب اشرب"، أصلها التوليدي "اشرب أنت" ثم التحويل عن طريق حذف الفاعل "أنت"، فأصبحت الجملة "اشرب" فتمّ التحويل عن طريق تأكيد الفعل بفعل ثانٍ، فأضفت الفعل "اشرب" لإزالة الشكّ وتنبيه السامع فأصبحت "اشرب اشرب" توكيداً لفظياً بتكرير الفعل.

(1) سورة يوسف، الآية: 4.

(2) البرزة، أحمد مختار، أساليب التوكيد من خلال القرآن، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ط1، 1985، ص21.

(3) سورة آل عمران، الآية: 143.

(4) الطّبري، جامع البيان: 120/4.

(5) الأندلسي، تفسير البحر المحيط: 208/3.

ومن الشواهد على توكيد الفعل في القرآن قوله تعالى: ﴿ 8 7 6 ﴾

9 : < ; = > ? @ A ﴿⁽¹⁾.

وقال الطَّبْرِي: "أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَزْعَمُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" جَاءَتْ هُنَا عَلَى وَجْهِ التَّوَكِيدِ لِلْكَلامِ، كَمَا يُقَالُ رَأَيْتَهُ بَعِينِي وَسَمِعْتَهُ بِأَذْنِي"⁽²⁾.
ويبدو أَنَّ الطَّبْرِي لم يبيِّن الرأْي الذي يستصوبه في هذا النوع من التكرار، والذي نراه أَنَّ هذا النوع من التكرار يعد تكراراً لفظياً بالمعنى، فالرؤْيَا تحمل معنى النظر.

التَّوَكِيدُ بِالْأَدْوَاتِ:

تشكل الأدوات في أسلوب التَّوَكِيدِ عنصراً حيويّاً من عناصر التَّوَكِيدِ، فهي تشكل ركناً رفيع الشَّان بما تمنحه للنصوص من تقويّة وتمكين، وقد أدرك النحاة والمفسرون أهميّة هذا المعنى فتتبعوا الأدوات على اختلاف أبوابها النحويّة، وقسم النحاة أدوات التَّوَكِيدِ إلى أدوات التَّوَكِيدِ الخاصّة، وأدوات التَّوَكِيدِ غير الخاصّة "كأدوات القسم" والتَّوَكِيدِ بالأدوات الزائدة، والتَّوَكِيدِ بتظافر الأدوات.
التَّوَكِيدِ بالأدوات الخاصّة: وهي الأدوات التي يلازمها معنى التَّوَكِيدِ في كل ما تستعمل له، ومنها:

لام الابتداء:

وتؤدّي معنى التَّوَكِيدِ في كل ما تدخل عليه من اسم أو فعل، أو حرف، فقد بين أبو عبيدة أَنَّ العرب توكّد بهذه اللام كلامها، فتذكرها في خبر المبتدأ، واسم إنَّ المؤخر⁽³⁾.

ورأى الرازي أنها في هذا الموضع توكّد موصوفيّة المبتدأ والخبر⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 143.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 212/3.

(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 223/1.

(4) الرازي، التفسير الكبير: 77/22.

وذكر لها الأخفش هذا المعنى في دخولها على المبتدأ وخبر "إنَّ" وبين أنها تؤكد المبتدأ في أول الكلام⁽¹⁾.

أمَّا الطَّبري مصطلح "لام الابتداء" في تفسيره ضمن ما نقله عن البصريين حيث قال في تفسيره قوله تعالى: ﴿t s r q p﴾⁽²⁾، بفتح اللام: قال بعض نحويي البصرة: اللام التي مع "ما" في أول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل: "زيد أفضل منك"، لأنَّ "ما" اسم والذي بعدها صلة لها، واللام التي في ﴿تَوَمَّنْ بِهِ وَتَشَصَّرَنَّ﴾ لام القسم⁽³⁾.

وقال في دخول اللام في قوله تعالى: ﴿J I H G F﴾⁽⁴⁾، قال: "بعض أهل العربيَّة من أهل البصرة: هي لام الابتداء، كأنَّ "ينادون" يقال لهم، لأنَّ النداء قول، قال ومثله في الإعراب يقال: لزيد أفضل من عمرو⁽⁵⁾.
ورأى الطَّبري أنها توازي في ذلك التوكيد الذي تفيده "إنَّ"⁽⁶⁾.
اللام الموطئة للقسم:

أجمع النحاة على أنَّ اللام الموطئة للقسم تؤكِّد الكلام، لأنَّ معناها القسم، وقد أشار إلى ذلك الزجاج⁽⁷⁾ وأضاف إليها معنى المبالغة في قوله تعالى: ﴿m l﴾

(1) الأخفش، سعيد بن مسعدة (ت: 215هـ)، معاني القرآن، تحقيق: د. فائز فارس، الكويت، ط2، 1981، ص284-285.

(2) سورة آل عمران، الآية: 81.

(3) الطَّبري، جامع البيان: 235/3.

(4) سورة غافر، الآية: 10.

(5) الطَّبري، جامع البيان: 31/24.

(6) المرجع نفسه: 47/24.

(7) الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1: 359/2.

والتوكيد⁽²⁾ ﴿r q p o n﴾⁽¹⁾، وتبعه الإمام الطبري وقال: "دخلت للمبالغة

واللام الداخلة مع القسم أو موطنه له في قوله تعالى: ﴿أَ ؤَ آ

﴿آ﴾⁽³⁾، فالسياق سياق توكيد إذ إنَّ أصل الجملة التوليدي، أكيد أصنامكم، ثم دخلت عليها نون التوكيد الثقيلة لتوكيد الحدث، ولكن السياق يحتاج إلى مزيد من التوكيد، فأدخل اللام التي تسمى لام جواب القسم. إنَّ:

وهي من الأدوات الخالصة للتوكيد، وكثيرة الاستخدام فيه وقد عبّر النحاة عن معناها بتسميات مختلفة، وذكروا لها بعض الإضافات والسمات في النصوص، فهي عند الطبري في نحو قوله تعالى: ﴿R Q P ONM﴾⁽⁴⁾، أثبات للشيء وتحقيق له، ومعناها عند الزجاج التوكيد⁽⁵⁾، وعند الزمخشري حرف تحقيق يؤدي ثبات الأمر وتمكينه⁽⁶⁾، وتستعمل في رأي الجرجاني لتثبيت ما يتردد المخاطب في إثباته ونفسه، نحو قولك على القطع "إنَّ زيدا منطلق"⁽⁷⁾.

وتدخل هذه الأداة على الجملة المكونة من المبتدأ والخبر في إطار من أطر الجملة التوليدية فيه يجري في المبتدأ تغيير في الحركة على حركة تسمى حركة اقتضاء وظيفتها إقامة خط سلامة المبنى، ولا دور لها في المستوى الدلالي، وإنما

(1) سورة الأعراف، الآية: 18.

(2) الطبري، جامع البيان: 330/3.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 57.

(4) سورة هود، الآية: 111.

(5) الطبري، جامع البيان: 124/12.

(6) الزمخشري، الكشاف: 73/2.

(7) الجرجاني، عبد القاهر (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة

المدني، القاهرة، 1992: 212/1.

الدور للأداة نفسها، إذ إنها تنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية تلقى على سمع من هو على درجة من التردد في تقبل الخبر⁽¹⁾.

توكيد الضمير بالضمير:

ذهب بعض النحاة إلى أن كاف المخاطبة في نحو قوله تعالى: ﴿ O p

﴿ t s r q ﴾⁽²⁾، تؤكد الضمير التاء، وذلك على جعل التاء اسماً، ورأى الطبري أن الكاف الداخلة على اسم الإشارة "ذلك" جاءت تشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب لتنبه على بعد المشار إليه من المكان، ولأن البعيد أحق بعلامة التنبه من القريب⁽³⁾، وهذا يمكن أن نعدّه من اللواحق التي تفيد توكيد الجملة أو النمط اللغوي.

التوكيد بالأدوات الزائدة:

ينطلق النحاة عموماً من أن كل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى، وعندما وجدوا بعض الأدوات لا تؤدي وظيفة نحوية أفتوا بزيادته، وبإفادته توكيداً للكلام، وقد اختلفوا في حجم هذه الفائدة، حيث وجدها بعضهم تشمل التركيب كله، ورآها آخرون تؤكد الكلمة السابقة، وغيرهم رأى أنها تؤكد الكلمة اللاحقة، والزيادة وفق علم اللغة المعاصر تعد عنصراً من عناصر التحويل، تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة التوليدية كلمات قد تكون فضلات، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى⁽⁴⁾.

ومن هذه الأدوات الزائدة والتي جاءت للتوكيد.

لا:

رأى النحاة أنها جاءت زائدة في بعض المواقع وأفادت توكيد النفي السابق

في الكلام، وقد جعل الفراء من ذلك قوله تعالى: ﴿ 1 1/4 1/4 »^o

(1) عمائرة، في التحليل اللغوي، ص13.

(2) سورة الأنعام، الآية: 40.

(3) الطبري، جامع البيان: 190/7.

(4) الزمخشري، الكشاف: 74/2.

3/4 ن ! " # \$ % ﴿⁽¹⁾، فهو يرى أنّ "لا" زيدت لتوثيق النفي،
وتوكيده في أنه لم يكن من الساجدين⁽²⁾.

وتابعه أبو عبيدة وحمل قوله تعالى: ﴿ 7 8 9 : ; < =
? @ BA C ﴾⁽³⁾، مبيناً أنّ "لا" جاءت لتتميم الكلام والتوكيد
لمعنى النفي في "غير"⁽⁴⁾.

ويبين الفراء إلى أنّ "لا" قد تؤكد النفي بعدها أيضاً كقوله تعالى: ﴿ ١
٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾⁽⁵⁾، إذ يتبين أنّ النفي بـ"يقدر" لا
للعلم والتقدير لعلم أهل الكتاب⁽⁶⁾.

ومثل الطبري لهذا النمط بقولهم: لا أظن زيدا لا يقوم بمن أظن زيدا لا يقوم.
ولكنه خالف الفراء في الآية السابقة⁽⁷⁾.
ما:

تفيد التوكيد فتمنح الكلام قوة وتوثيقاً، وقد ذكر الطبري أنّ "ما" تؤكد معنى
الشرط لأنها تزداد بعد عدد من أدواته⁽⁸⁾.

(1) سورة الأعراف، الآية: 11-12.

(2) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف
نجاتي، ومحمد علي النجار، الدار المصرية، القاهرة، د.ط، ص211.

(3) سورة الفاتحة، الآيات: 6-8.

(4) أبو عبيدة، معاني القرآن، ط2: 214/2.

(5) سورة الحديد، الآية: 29.

(6) الفراء، معاني القرآن، ط2: 225/2.

(7) الطبري، جامع البيان: 118-119.

(8) المرجع نفسه: 246/1.

ومثل لذلك قوله تعالى: ﴿ & ') * + , - .

﴿(1)﴾، ويبيّن الزجاج أنّ دخولها لهذا المعنى، وقد استلزم وقوع نون التّوكيد في الجواب مثلما استلزمت لام جواب القسم التّوكيد بها(2).

وهناك نوع ثالث من التّوكيد بالأداة وهو التّوكيد باجتماع أداتين، وهو نوع من التّوكيد بالحروف الزوائد، ففي اجتماع أداتين من معنى واحد، أو تكرار الأداة تؤدي معنى التّوكيد، ويظهر هذا النوع من التّوكيد في عدد من الأساليب كالنفي والتشبيه والاستفهام، وأشار الطّبري إلى أنّ كاف التشبيه قد تجتمع بنظريتها فيتأكد الشبه.

كما في قول خطام المجاشعي: "وحالياتٍ ككما يؤثفين"(3).

وذكر الفراء أنّ اجتماع "ما" و"إن" النافيتين توثيق للكلام وتوكيد له، وكذلك من اجتماع "لا" و"ما" و"إن" في نحو قولهم: لا ما إن رأيت مثلك(4).

وهنا نجد أنّ الفراء أعطى مثلاً لتضافر ثلاث أدوات لتؤدي معنى التّوكيد، وذكر الطّبري كذلك شواهد على تضافر الأدوات لتؤدي معنى توكيد النفي، ومن ذلك قول العجاج(5):

قد يكسبُ المالَ الهدانِ الجافي بغيرِ لا عصفٍ ولا اصطرافٍ(6)

وكذلك ذكر الطّبري اجتماع كاف التشبيه بكلمة "مثل" واجتماع "من"

الموصولة بـ"الذين"، ومن الأمثلة على النوع الثاني قوله تعالى: ﴿ 1 2

(1) سورة البقرة، الآية: 38.

(2) الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 1/865.

(3) الطّبري، جامع البيان: 23/15.

(4) الفراء، معاني القرآن: 374/1.

(5) العجاج، ديوان العجاج: 27/5.

(6) الطّبري، جامع البيان: 27/5.

43﴿⁽¹⁾، ورأى الطَّبْرِي في زيادة "مثل" أو "الكاف" في هذه الآية وجهين:

أحدهما: أنَّ يكون معناه: ليس هو كمثلته، وادخل المثل في الكلام توكيد الكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحد.

والآخر: أنَّ يكون معناه: ليس مثله شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، وذلك توكيداً للتشبيه⁽²⁾.

التوكيد بنوني التوكيد:

يوجد نوعان للنون، النون الثقيلة، والنون الخفيفة وتدخلان على الفعل المضارع لتوكيده، وتدخلان على فعل الأمر، فالنون الخفيفة تكون بمنزلة تكرار الفعل مرتين، أما النون الثقيلة فهي بمنزلة تكرار الفعل ثلاث مرات، ولا تدخل على الفعل الماضي، لأنه حاصل، وليس فيه معنى الطلب، فالنون تخلص المضارع للاستقبال، ولا يؤكد بها إلا الأفعال التي فيها معنى الطلب، وذلك يعني حدوث الفعل في المستقبل ومثاله قوله تعالى: ﴿W VU T﴾⁽³⁾.

وقد اختلف القراء في قراءة النون الخفيفة في "ليكوناً" حيث قال الهمداني: "الجمهور على تخفيف التي للتأكيد في قوله "ليكوناً" وقرئ أيضاً بالتشديد". وقال الزجاج: القراءة الجيدة على تخفيف "ليكوناً من الصاغرين" والوقف عليها بالألف، لأنَّ النون الخفيفة تبدل في الوقف ألفاً، تقول: اضربن زياداً، فإذا وقفت قلت اضرباً⁽⁴⁾.

واتفق الطَّبْرِي مع النحاة في الآية السابقة فقال⁽⁵⁾: "والوقف عليها على قوله

﴿يُسْجَنُونَ﴾ بالنون لأنها مشددة كما قيل: ﴿t﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة الشورى، الآية: 11.

(2) الطَّبْرِي، جامع البيان: 12/25.

(3) سورة يوسف، الآية: 32.

(4) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 108/3.

(5) الطَّبْرِي، جامع البيان: 122/16.

(6) سورة النساء، الآية: 72.

وأما قوله "وليكونا" فإن الوقف عليه بالألف، لأنها في قول القائل: رأيت رجلاً عندك، فإذا وقفت على "الرجل": قيل: "رأيت رجلاً"، فإذا وقفت على "الرجل" قيل "رأيت رجلاً" فصارت النون ألفاً. فكذا ذلك في "وليكونا" ومثله قوله: ﴿± 32 ˆ

μ ¶ 1 ° » (1).

والوقف عليه بالألف ومنه قول الأعشى (2):

وصلّ على حين العشيّاتِ والضحى
ولا تعبُد الشيطانَ والله فاعبدا
وإنما هو "فاعبدن" ولكن إذا وقف عليه كان الوقف بالألف، فمن الملاحظ أنّ الطّبري لم يختلف مع النحاة في مسألة التوكيد بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة والوقف عليها.

3.3 أسلوب الاستثناء:

1.3.3 الاستثناء لغةً واصطلاحاً:

الاستثناء لغةً:

يقول ابن منظور: للاستثناء في اللغة معانٍ منها: الصّرف، تقول، ثنيةٌ عن حاجته إذا صرفته عنها، واستثنيت الشيء من الشيء: حاشيته، ومنها العطف تقول ثنيت الحبل إذا عطفت بعضه على بعض (3).
وذهب ابن يعيش إلى أنّ الاستثناء استعمال من ثناه عن الأمر يثنيه إذا صرفه عنه فقال: فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول (4).

(1) سورة العلق، الآية: 15-16.

(2) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل (ت: 7هـ)، ديوانه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1983، ص203.

(3) ابن منظور، لسان العرب (ثنى) 115/14..

(4) ابن يعيش، شرح المفصل، 75/2..

ومن الملاحظ أنّ مادة (ث ن ي) تدور حول الإخفاء وعطف الشيء
وصرفه.

أمّا في الاصطلاح فعرفّه إمام النحاة سيبويه بقوله: "أن يكون الاسم بعدها
خارجاً مما دخل فيه قبله، وعاملاً فيه ما قبله من الكلام"⁽¹⁾.
وعرفّه ابن جني بقوله: "ومعنى الاستثناء أن تُخرج شيئاً مما أدخلت فيه غيره
أو تدخله فيما أخرجت منه غيره"⁽²⁾.

وعرفّه ابن يعيش بعبارات وسّعت في دلالة الاستثناء حيث قال: "... وحقيقته
تخصيص صفة عامة فكل استثناء تخصيص وليس كل تخصيص استثناء"⁽³⁾.
ونستطيع أن نخرج بخلاصة مفادها أن الاستثناء هو إخراج ما بعد أداة
الاستثناء ممّا قبلها.

2.3.3 عناصر التركيب الإسنادي حسب ورودها في الجملة:

المستثنى منه: وهو ما جاء المستثنى خلفه نفيّاً أو إثباتاً، وقد يرد ركناً في
العملية الإسنادية كأن يكون فاعلاً، وقد يأتي عنصراً متعلقاً بالإخفاء كأن يكون
مفعولاً به أو اسماً مجروراً⁽⁴⁾.

المستثنى: هو المخرج في حكم ما قبله، وهو محور ارتكاز في باب
الاستثناء، وهو اسم أو جملة يذكر بعد إلاّ أو إحدى أخواتها مخالفاً في الحكم لما
قبلها نفيّاً وإثباتاً⁽⁵⁾.

أداة الاستثناء: وهي تمثّل الركن الثالث والأساسي في أسلوب الاستثناء وهي
أن يتوصل بها في هذا التركيب الإسنادي إلى تأديّة معنى الاستثناء وهي الكلمة

(1) سيبويه، الكتاب، 310/2..

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، عالم
الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1985، ص141.

(3) ابن يعيش، شرح المفصل، 76/2.

(4) بومعزه، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، ص508.

(5) لاشين، عبد الفتاح، من أسرار التعبير في القرآن، الرياض، ط1، 1984، ص133.

الرابطه بين المستثنى والمستثنى منه، وهي "إلا" أو إحدى أخواتها، وتقسم أدوات الاستثناء إلى أربعة أقسام⁽¹⁾:

1. الحرف المحض: إلا، لَمَّا، حتَّى.
2. الاسم المحض: غير، سوى، بيد.
3. الفعل المحض: ليس، لا يكون.
4. ما يتردد بين الفعلية والحرفية: خلا، عدا، حاشا.

3.3.3 أنواع الاستثناء:

ينقسم الاستثناء بحسب ذكر المستثنى منه أو عدمه، وبحسب إيجابه ونفيه، وبحسب كون المثني بعضاً منه أو عدمه إلى أنواع ثلاثة.

1. الاستثناء التام: وهو ما يكون فيه المستثنى مذكوراً. وبسبب وجود كل من المستثنى والمستثنى منه في الكلام سمّي الاستثناء تاماً، ومثاله قوله تعالى: CM D E F G H I J K⁽²⁾. والاستثناء التام إما فصل وإما منقطع.

أ. الاستثناء التام المتصل: والمراد بالمتصل أن يكون المستثنى بعضاً مما قبله أي يكون بعضاً من المستثنى منه حقيقة⁽³⁾.

وهو الذي يكون فيه لفظ المستثنى من جنس المستثنى منه، فإن لم يكن من جنس المستثنى منه فمنقطع أي منفصل، والاستثناء التام المتصل قد يكون موجباً وقد يكون منفيّاً، والموجب في الكلام ما ليس فيه حرف نفي، أما غير الموجب، وهو ما كانت جملته مشتملة على نفي أو شبهة⁽⁴⁾.

(1) الكعبي، ربيعة، التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989، ص17.

(2) سورة الصافات، الآية: 134-135.

(3) ابن جني، اللع في العربية، ص123.

(4) ربيعة الكعبي، التركيب الاستثنائي القرآن، ص26.

ب. الاستثناء التام المنقطع: وهو الذي فيه يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، وهو ما يقع في الاستثناء من غير نوع المذكور قبله⁽¹⁾.

2. الاستثناء الناقص: ويسمى المفرغ، وهو ما حذف من جملته المستثنى منه، والكلام غير موجب، ولا بد من الأمرين معاً⁽²⁾.

وفي الجزء الثاني في هذا البحث في أسلوب معاني أدوات الاستثناء، وبعد هذا العرض التعريفي الموجز بأسلوب الاستثناء، وأدواته وأنواعه نستعرض الشواهد التي ذكرها الطبري في تفسيره لأسلوب الاستثناء لنرى مدى التوافق والاختلاف بين النحاة والمحدثين فيه من خلال الآيات القرآنية والتي ذكرت أسلوب الاستثناء بأنواعه.

الاستثناء بـ"إلا":

يعتبر حرف الاستثناء "إلا" أهم أدوات الاستثناء وهي المستولية عليه في هذا الباب⁽³⁾، وقد ذكر العكبري العلة في كون "إلا" أصلاً لأدوات بقوله "أصل أدوات الاستثناء لوجهين: أحدهما: أنها حرف، والموضوع لإفادة المعاني، والموضوع لإفادة المعاني الحروف كالنفي والاستفهام والنداء. والثاني: أنها تقع في جميع أبواب الاستثناء للاستثناء فقط، وغيرها في أمكنة مخصوصة، وتستعمل في أبواب آخر⁽⁴⁾. وللنحاة في تركيب "إلا" مذهبان: الأول يرى أنها مركبة من "إن" المشددة و"لا" العاطفة، وقد... "إن" ولكثرة الاستعمال، أدغمت مع "لا" فأصبحت حرفاً واحداً مشدداً⁽⁵⁾.

أما المذهب الآخر في "إلا" أنها حرف غير مركب⁽⁶⁾.
ومن المعاني التي وجهها النحاة في "إلا" الاستثنائية:

(1) بومعزه، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، ص511.

(2) ربيعة الكعبي، التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم، ص270.

(3) ابن يعيش، شرح المفصل، 72/2.

(4) العكبري، اللباب في علل البناء والأعراب، ج1/302.

(5) الفراء، معاني القرآن، 377/2.

(6) سيبويه، الكتاب، ج2/304.

بمعنى الواو، وقد ذهب إلى هذا، المعنى عددٌ من النحاة: كالفرءاء، وذلك في قوله: "العرب إذا استتنت شيئاً كبيراً مع مثله أو مع ما هو أكبر منه كان معنى "إلاً" ومعنى (الواو) سواء⁽¹⁾.

واعترض أبو حيان على هذا المعنى لـ"إلاً" الاستثنائية، وقال: إنه لم يسمع هذا من العرب⁽²⁾.

وأنكر الطّبري مجيء "إلاً" على الواو⁽³⁾، وأنكر هذا المعنى كذلك أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ)، وقال: وأما كون "إلاً" بمعنى الواو فلا وجه له ولا يجوز في شيء من الكلام، ومعنى "إلاً" خلاف معنى الواو لأنك إذا قلت: جاءني إخوتك إلاً زيداً، أخرجت زيداً مما دخل فيه الأخوة، وإذا قلت: جاءني إخوتك وزيدٌ، أدخلت زيداً فيما دخل فيه الإخوة فلا شبهة بينهما ولا تقارب⁽⁴⁾.

أما المعنى الثاني الذي تحتمله "إلاً" وأن تكون بمعنى بعد، وقد ذكر الطّبري هذا المعنى لـ"إلاً" في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿﴾

§ ﴿﴾⁽⁵⁾، وقال "لأنّ الأغلب من قول القائل لا أدوق اليوم الطعام إلاّ الطعام الذي ذقته قبل اليوم. أنه يريد الخبر عن قائله أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره، وإذا كان الأغلب من معناه، وجب أن يكون الأثبت بقوله ﴿﴾ | § ﴿﴾ مودة من نوع الأولى، هم ذائقوها ومعلوم أنّ ذلك ليس كذلك، إلاّ أن الله قد آمنّ أهل الجنة في الجنة إذ هم دخلوها من الموت... وإنما جاز أن توضع "إلاً" في موضع "بعد" لتقارب معنيهما في هذا الموضع⁽⁶⁾.

(1) الفرءاء، معاني القرآن، 28/2.

(2) الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (ت 745 هـ) تحقيق، د. رجب عثمان محمد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1999، ج3/ 1497.

(3) الطّبري، جامع البيان، 43/2.

(4) النحاس، احمد بن محمد بن إسماعيل، (ت 328 هـ)، إعراب القرآن، تحقيق، زهير غازي أحمد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1988، م/ج3، 200.

(5) الدخان، الآية: 56.

(6) الطّبري، جامع البيان، 137/25.

وقد وصف المرادي قول من قال إنَّ "إِلَّا" تأتي بمعنى بعد بأنه من أغرب ما قيل في معنى "إِلَّا"، فقال: "ومن أغرب ما قيل في إلَّا إنها قد تكون بمعنى "بعد" وجعل من ذلك قوله تعالى: "إِلَّا ما قد سلف" وقوله "إِلَّا الموتة الأولى"⁽¹⁾.

وأرى أن حجة الطبري في توجيه "إِلَّا" بمعنى بعد ضعيفة و"إِلَّا" باقية هنا في الآية على معناها الذي وضعت له، وهو الاستثناء؛ لأنَّ ما بعدها مخرج مما قبلها. أمَّا أبو حيان في البحر المحيط فقد اكتفى بنقل إنكار المرادي لهذا المعنى الذي ذهب إليه الطبري في الآية السابقة دون أن يعلق على هذا الإنكار⁽²⁾.

الاستثناء التام الموجب بـ"إِلَّا":

والاستثناء التام ما تحققت أركان الاستثناء فيه وهي: المستثنى منه وحرف الاستثناء، والمستثنى، وأن يكون الكلام ليس فيه نفي أو استفهام أو نهي وتنقسم قسمين، هما: المتصل والمنفصل:

ومن شواهد التام المتصل التي ذكرها الطبري في معرض تفسيره لآيات القرآن الكريم:

1. قوله تعالى: ﴿ q r s t u v w x y ﴾⁽³⁾.

والمستثنى قليلاً: واختلف النحويون والمفسرون في المستثنى منه وانقسموا إلى عدة آراء:

الرأي الأول: قالوا بأن المستثنى منه هو الضمير (الواو) في (أذاعوا) أي (أذاعوا به إلَّا قليلاً) ونسب الطبري هذا الرأي إلى ابن عباس ورجّحه⁽⁴⁾. واستحسن الفراء هذا الوجه⁽⁵⁾.

(1) المرادي، الجنى الداني، ص521.

(2) الأندلسي، البحر المحيط، 41/8.

(3) سورة النساء، الآية: 83.

(4) الطبري، جامع البيان، 486/4.

(5) الفراء، معاني القرآن، 450/1.

الرأي الثاني: قالوا بأن المستثنى منه هو الضمير في (يستنبطونه) في قوله تعالى: ﴿لِعَلِّمِهِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ ونسب الطبري هذا الرأي إلى قتادة.

الرأي الثالث: الضمير في قوله (فيهم)، وهذا قول الزجاج⁽¹⁾.

الرأي الرابع: المستثنى منه (اتبتم) والمستثنى محذوف تقديره (اتباعاً) و(قليلاً) صفة، وهذا قول الزمخشري⁽²⁾.

2. قوله تعالى: ﴿! " # \$ % & ' ()﴾⁽³⁾، ذهب الطبري

إلى أن المستثنى منه "فإنهم محضرون" وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً⁽⁴⁾.

3. قوله تعالى: ﴿[ZY X WV U]﴾⁽⁵⁾.

ذهب الطبري إلى أن قوله تعالى: "إنَّ الإنسان" أريد بها الكافرون ونسب الطبري ذلك إلى ابن عباس والضحاك⁽⁶⁾، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً.

ثانياً: الاستثناء المنقطع:

والنوع الثاني من التام هو المنقطع ومن الشواهد القرآنية على هذا النوع من

الاستثناء:

قوله تعالى: ﴿y x WV ﴾ لِأَدَمَ فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾⁽⁷⁾.

ورأى عدد من النحاة بأن الاستثناء هنا منقطع ومنهم الزمخشري⁽⁸⁾،

والزجاج⁽⁹⁾، وغيرهم، إلا أن هناك جماعة من أهل العلم رأوا أن الاستثناء متصل

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 93/2.

(2) الزمخشري، الكشاف، 542/1.

(3) سورة الصافات، الآية: 128/127.

(4) الطبري، جامع البيان، 112/23.

(5) المعارج، الآية: 19-22.

(6) الطبري، جامع البيان، 92/29.

(7) سورة البقرة، الآية: 34.

(8) الزمخشري، الكشاف، 127/1.

(9) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 188/3.

وليس منقطعاً وحثهم في ذلك أن إبليس من الملائكة بنصّ قوله تعالى: ﴿ ut
V ﴾⁽¹⁾ والجن مخلوق، وقد نسب الطّبري هذا القول إلى ابن عباس وابن مسعود،
وقتادة⁽²⁾.

وممن ذهب إلى الاتصال أبو عبيدة⁽³⁾ والطّبري⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿ H G F E D C B A @ ﴾⁽⁵⁾، ذهب
الطّبري إلى أن الاستثناء هنا منقطع⁽⁶⁾ ووافق الزمخشري في ذلك⁽⁷⁾.
ثالثاً: الاستثناء التام المنفي:

وهذا النوع من الاستثناء ورد في القرآن في عدة مواضع أجاز النحاة فيه
وجهين: النصب على الاستثناء والإتباع على البدل في المستثنى منه.
شواهد الاستثناء المنفي التام المتصل بـ "إلا":

قوله تعالى: ﴿ O / . - , ﴾⁽⁸⁾: قرأ عبدالله بن عامر وعيسى بن
عمر "ما فعلوه إلا قليلاً" نصباً على الاستثناء، وقرأ الباقر بالرفع على البدل⁽⁹⁾.
وقد نقل الطّبري اختلاف أهل العربيّة في وجه الرفع في قوله تعالى: ﴿ إلا قَلِيلٌ
منهم ﴾.

-
- (1) سورة الكهف، الآية: 50.
 - (2) الطّبري، جامع البيان، 2571/1.
 - (3) أبو عبيدة، مجاز القرآن، 38/1.
 - (4) الطّبري، جامع البيان، 259/1.
 - (5) سورة الصافات، آية 158-160.
 - (6) الطّبري، جامع البيان، 129/23.
 - (7) الزمخشري، الكشاف، 65/4.
 - (8) سورة النساء: آية 66.
 - (9) الطّبري، جامع البيان: 193/5.

فنقل عن بعض أهل البصرة أنه رفع على البدل من المضمر في قوله "ما فعلوه"، ونقل عن بعض نحوي الكوفة أنه مرفوع على نيّة التكرير، وكان معناه: ما فعلوه ما فعله إلا قليل منهم⁽¹⁾.

واستصوب الطّبري رفع "القليل" بالمعنى الذي دلّ عليه قوله "ما فعلوه إلا قليل منهم"، وذلك أن معنى الكلام: ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعله إلا قليل منهم، فقيل ما فعلوه على الخبر عن الذين مضى ذكرهم في قوله: ﴿ ! " # \$ % & ' () * + , -

﴿(2)﴾، ثم استثنى القليل فرفع بالمعنى الذي ذكرناه إذا كان الفعل منفيًا عنه⁽³⁾.

قوله تعالى: ﴿ } ~ أَرْوَجَهُمْ ؛ i € ¤ ¥ ¦ § ¨ ﴾⁽⁴⁾.

ذهب الطّبري⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والنحاس⁽⁷⁾، في قوله تعالى "إلا أنفسهم" الرفع على البدل والنصب على الاستثناء.

من شواهد الاستثناء المنفي التام المنقطع:

ورأى كذلك أن إلا بمعنى لكن في قوله "إلا أنني" ويرى أننا إذا أردنا وضع "لكن" مكان "إلا" وجدت الكلام صحيحاً معناه صحته في إلا⁽⁸⁾.

قوله تعالى: ﴿ + , - . / 0 1 2 3 4

﴿5﴾⁽⁹⁾.

(1) الطبري، جامع البيان: 101/5.

(2) سورة النساء، الآية: 60.

(3) الطّبري، جامع البيان: 102/5.

(4) سورة النور، الآية: 6.

(5) الطّبري، جامع البيان، 433/1.

(6) الزمخشري، الكشاف: 157/1.

(7) سورة البقرة، آية 78.

(8) الطبري، جامع البيان: 398/1.

(9) المرجع نفسه: 32/1.

ذهب الطّبري في قوله تعالى: "إِلَّا أُمَانِي" إِمَّا أَنَّهَا استثناء منقطع وذلك لأن الأُمَانِي ليست للعلم⁽¹⁾، وذهب إلى ذلك النحاس⁽²⁾، والزمخشري⁽³⁾.

قوله تعالى: ﴿ " # \$ % & ') * + , - . / ﴾⁽⁴⁾.

وهناك من النحاة من رأى في قوله "إِلَّا من ظلم" استثناء منقطعاً ليس غير كابن جني والقرطبي⁽⁵⁾ وهناك قسم آخر من النحاة من جوز الانقطاع في الآية السابقة كالفراء⁽⁶⁾ والنحاس⁽⁷⁾.

1. قوله تعالى: ﴿ ﴾ £ ¤ ¥ ¦ § ¨⁽⁸⁾.

يرى الفراء أن "إِلَّا" في هذه الآية بمعنى سوى وقال إن الأصل في زمن ما بعد إلا، أن يكون تالياً لما قبلها، فإذا كان النقيض حُمِلَتْ "إِلَّا" على معنى سوى، نقول: "لك عندي ألف إلا مالك من من قبل فلان" أي سوى مالك من من قبل فلان. وحمل الفراء على ذلك بعض النصوص القرآنية منها الآية السابقة وخالفه الطّبري والرازي في ذلك، فالرازي يرى في هذا المذهب عدولاً عن الظاهر، وحملاً للأداة على غير معناها⁽⁹⁾.

بيّن الطّبري أن "إِلَّا" في الآية السابقة بمعنى "بعد" وقال لأن الأغلب من قول القائل: لا أذوق اليوم الطعام إلا الطعام الذي ذقته قبل اليوم، أنه يريد الخبر عن قائله

(1) النحاس، إعراب القرآن: 420/1.

(2) الزمخشري، الكشاف، 157/1.

(3) سورة النساء، الآية: 148.

(4) رفيده، الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص 203.

(5) الفراء، معاني القرآن، 44/3.

(6) النحاس، إعراب القرآن الكريم، 137/4.

(7) سورة الدخان، آية 56.

(8) الفراء، معاني القرآن، 44/3.

(9) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث،

بيروت، ط3: 66/18.

أن عنده طعاماً في ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره، وإذا كان ذلك الأغلب في معناه، وجب أن يكون قد أثبت بقوله "إلا الموتة الأولى" موته من نوع الأولى هم ذائقوها ومعلوم أن ذلك ليس كذلك. إلا أن الله قد أمّن أهل الجنة في الجنة إذ هم دخلوها من الموت... وإنما جاز ألا توضع "إلا" في موضع "بعد" لتقارب معنيهما في هذا الموضع⁽¹⁾، وبهذا التفسير ليس في الآية السابقة استثناء لأنها بمعنى "لا يدوقون الموت بعد الموتة الأولى"، وفق رأي الطبري.

وخالف النحاس والقرطبي الطبري في قوله تعالى: ﴿ | § ﴾⁽²⁾ على أنها نصب على الاستثناء المنقطع⁽²⁾، في حين يراها الزمخشري بدلاً على لغة تميم⁽³⁾.

حاشا:

وقد ذهب النحاة فيها مذهبين: الأول: إنها لا ترد إلا حرفاً وأنكروا مجيئها فعلاً، ومن النحاة الذين أيدوا هذا المذهب سيبويه⁽⁴⁾، وأبو حيان⁽⁵⁾. أما المذهب الثاني فإنها تجيء فعلاً أو حرفاً، ومن هؤلاء النحاة الذين نادوا بهذا المذهب المبرد⁽⁶⁾.

وقد وردت (حاشا) في القرآن الكريم مرتين في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? @ A ﴾⁽⁷⁾، وكذلك في

(1) الطبري، جامع البيان، 137/25.

(2) النحاس، اعراب القرآن، 137/4.

(3) الزمخشري، الكشاف، 283/4.

(4) سيبويه، الكتاب، 349/2.

(5) الأندلسي، البحر المحيط: 349/2.

(6) المبرد، محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة،

تحقيق: ياسين أبو الهيجاء، عالم الكتب الحديث، (د.ت)، ج4، 391.

(7) سورة يوسف، آية 31.

قوله تعالى: ﴿ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۱۰ ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ ۱۶ ۱۷ ۱۸ ۱۹ ۲۰ ۲۱ ۲۲ ۲۳ ۲۴ ۲۵ ۲۶ ۲۷ ۲۸ ۲۹ ۳۰ ۳۱ ۳۲ ۳۳ ۳۴ ۳۵ ۳۶ ۳۷ ۳۸ ۳۹ ۴۰ ۴۱ ۴۲ ۴۳ ۴۴ ۴۵ ۴۶ ۴۷ ۴۸ ۴۹ ۵۰ ۵۱ ۵۲ ۵۳ ۵۴ ۵۵ ۵۶ ۵۷ ۵۸ ۵۹ ۶۰ ۶۱ ۶۲ ۶۳ ۶۴ ۶۵ ۶۶ ۶۷ ۶۸ ۶۹ ۷۰ ۷۱ ۷۲ ۷۳ ۷۴ ۷۵ ۷۶ ۷۷ ۷۸ ۷۹ ۸۰ ۸۱ ۸۲ ۸۳ ۸۴ ۸۵ ۸۶ ۸۷ ۸۸ ۸۹ ۹۰ ۹۱ ۹۲ ۹۳ ۹۴ ۹۵ ۹۶ ۹۷ ۹۸ ۹۹ ۱۰۰ ﴾ (1)

واختلف العلماء في (حاش) التي ذُكرت في القرآن هل هي للاستثناء أو للتنزيه فقد ذهب الفريق الأول إلى أنها للاستثناء، ومنهم أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ 7 8 9 : < ; > ﴾ (2)

وقال: ومعناه بمعنى التنزيه والاستثناء من البشر (3).

أما المذهب الثاني في (حاش) التي في القرآن وأنها للتنزيه وليست للاستثناء فقد ذهب إليه الزمخشري وأضاف إليها معنى آخر هو البراءة، فقال: "حاش" كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء وضعت موضع التنزيه والبراءة (4).

وأضاف معنى التعجب في قوله تعالى: ﴿ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 ﴾ (5)، أي التعجب من عفة يوسف ونزاهته عن الريبة (6).

ووافق الطبري الزمخشري في كون "حاش" للتنزيه في الآية السابقة، وفرق بين الاستثناء والتنزيه فأوضح أن العرب تستعمل "حاشا" للاستثناء مرة وللتنزيه أخرى، وأنها في الآية للتنزيه، وكأنه قيل معاذ الله (7).

ونحن نميل إلى الرأي الثاني في أن "حاش" في الآيتين السابقتين جاءت للتنزيه وليست للاستثناء، وذلك لأن المعنى المفهوم في سياق الآيتين هو (البراءة، أو معاذ الله) ليس نلاحظ فيها أي معنى للاستثناء.

(1) سورة يوسف، الآية: 51.

(2) سورة يوسف، الآية: 31.

(3) أبو عبيده، مجاز القرآن: 310/1.

(4) الزمخشري، الكشاف، ج2، 465.

(5) سورة يوسف، الآية: 51.

(6) الزمخشري، الكشاف، ج2، 478.

(7) الطبري، جامع البيان، ج12، 208.

شواهد الاستثناء بـ "غير وسوى":

اتفق العلماء على أن "غير" و"سوى" اسما استثناء ولم ترد "سوى" الاستثنائية في القرآن الكريم، ولم يذكر أحدٌ من المفسرين أنها جاءت بمعنى الاستثناء، ورد السيوطي على من قال: إنها وردت في قوله تعالى: "فقد ضلَّ سواء السبيل" على أنها "سوى الاستثنائية" بأنه كلام واهم⁽¹⁾.

أما غير الاستثنائية فقد وردت في مواضع قليلة في القرآن الكريم وتأتي غيره في القرآن بعده معانٍ:

أن نأتي على الأصل وهو الصفة⁽²⁾، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿...﴾
لـ (صالحاً)⁽⁴⁾.

تكون بمعنى "لا" فنصبها على الحال، كما في قوله تعالى: ﴿...﴾
أي فمن اضطر جائعاً لا باغياً⁽⁵⁾.

أن تكون للاستثناء⁽⁷⁾، نحو قوله تعالى: ﴿...﴾⁽⁸⁾.

(1) السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - لبنان، 1988 م، 199/2.

(2) المبرد، المقتضب، 4/422.

(3) سورة فاطر، الآية: 37.

(4) معاني القرآن وإعرابه، 3/83.

(5) سورة البقرة، الآية: 173.

(6) الفراء، معاني القرآن: 102/1-103.

(7) السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السدوان، ويوسف علي بدوي، دار ابن هانئ، دمشق، سوريا (1986)، ص 122.

(8) سورة الأعراف، آية 59.

شواهد الاستثناء بـ "غير" في القرآن الكريم.

وسنكتفي بالشواهد التي وردت في تفسير الطبري:

الاستثناء المنفي التام المتصل:

قوله تعالى: ﴿ > ? @ A B ﴾⁽¹⁾، قرأ الكسائي "غير" بخفض الراء وخرجوا قراءة الخفض على الوصف لـ (إله)⁽²⁾.

الاستثناء المنفي المنقطع:

وقد وردت "غير" في القرآن الكريم على الاستثناء المنقطع في آيتين إلا أنها لم تأت منصوبة متعينة للاستثناء وإنما جاءت للاستثناء ولغيره، ومن الشواهد على هذا النوع من الاستثناء بـ "غير" قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % & ' () ﴾⁽³⁾.

قرأ نافع وابن عامر والكسائي "غير أولي الضرر" بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة برفع "غير"⁽⁴⁾.

الاستثناء بـ "لما" بمعنى "إلا" في القرآن:

وردت "لما" بمعنى "إلا" في القرآن الكريم في أربعة مواضع ومنها قوله تعالى: ﴿ , - . / O 1 ﴾⁽⁵⁾، وقد خرّج الطبري "لما" المشددة بمعنى "إلا"⁽⁶⁾، ومن الملاحظ أن "لما" التي جاءت بمعنى "إلا" أنها جاءت مصحوبة بـ "إن" في بداية السياق وبالتالي فـ "لما" لم تأت للإخراج مثل "إلا" فلم يرد عن العرب قولهم "جاء القوم لما زيداً" وإنما جاءت مع "إن" المشبهة بـ "أما" النافية، وبالتالي فمجيء "لما"

(1) سورة الأعراف، آية 95.

(2) الطبري، جامع البيان: 520/8.

(3) سورة النساء، الآية: 95.

(4) صلاح بن مريس، الاستثناء في القرآن الكريم، ص 165.

(5) سورة الطارق، الآية: 4.

(6) الطبري، جامع البيان، 173/30.

و"إن" أفادتا الحصر في تركيب واحد، وقد نسب الفراء إلى هذيل استخدامها لهذا التركيب أي تركيب "إن" بمعنى "ما" مع "لما" على "إلا"⁽¹⁾.

"أو" بمعنى الاستثناء:

تأتي "أو" التي تنصب الفعل المضارع لثلاثة معانٍ: للتعليل وللغاية، وللإستثناء إلى الأندلسي⁽²⁾، أبي حيان.

وقد ذهب الطبري في قراءة قوله تعالى: ﴿... + , -﴾⁽³⁾ إلى أن

"أو" بمعنى "إلا" وذهب الفراء إلى ذلك في الآية السابقة، وقال "والمعنى تقاتلونهم أبدأً حتى سلموا أو إلا أن يسلموا"⁽⁴⁾، وذهب الزمخشري إلى أن "أو" تأتي بمعنى "إلا" أن⁽⁵⁾.

وجملة الاستثناء وفق المنهج التحويلي هي جملة تتكون من بنية عميقة وبنية

سطحية، فإذا أخذنا قوله تعالى: ﴿g f e d c b a `﴾⁽⁶⁾، نجد

الجملة المضارعية البسيطة هي "ما يتلى عليكم" جاءت هنا في موضع نصب على الاستثناء من بهيمة الأنعام، وبنيتها العميقة "المتلو عليكم وهو" الميته، وما أهلٌ لغير الله به.

4.3 أسلوب الشرط:

1.4.3 الشرط لغةً واصطلاحاً:

الشرط لغةً:

الشرط لغةً: إزام الشيء والتزامه⁽⁷⁾.

(1) الفراء، معاني القرآن، 254/3.

(2) الأندلسي، البحر المحيط: 205/2.

(3) سورة الفتح، الآية: 16.

(4) الفراء، معاني القرآن، 66/3.

(5) الزمخشري، الكشاف، 484/1.

(6) سورة المائدة، الآية: 1.

(7) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شرط).

وأما اصطلاحاً:

فقد عرفه ابن يعيش تعريفاً اصطلاحياً من خلال الأصل اللغوي للمادة بقوله:
"معنى الشرط العلامة والأمانة فكأن وجود الشرط علامة لوجود جوابه"⁽¹⁾.

وعرفه الكفوي بقوله: "ما دخله شيء من الأدوات المخصوصة الدالة على سببية الأول للثاني"⁽²⁾.

وعرفه الأنطاكي بقوله: "والشرط هو تعليق حدث على حدث، وبعبارة أخرى هو ربط حدثين برابط السببية بحيث يكون الأول سبباً للثاني"⁽³⁾.

وقد حاول ريمون طحان تعريف الشرط وفق النظريات اللسانية المعاصرة فأدرجه في ما اصطلح عليه بالجمال ذات الشقين، وعرفه بأنه: "أسلوب لغوي يبنى على جملة ميكانيكية تتألف من أداة ومن تركيبين سمي الأول الشرط، والثاني الجواب والجزاء، تقوم الأداة بربط التركيب: أو الشقين ارتباطاً وثيقاً يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر، ينزل الشق الأول منزلة السبب والشق الثاني منزلة المسبب"⁽⁴⁾.

2.4.3 أنواع الشرط:

ينقسم إلى شرط جازم وشرط غير جازم حسب أدواته، وإلى شرط غير إقناعي وشرط إقناعي، وأدوات الشرط الإقناعي هي: "لو، لولا، لوما" وبقية الأدوات للشرط غير الإقناعي.

ويقوم أسلوب الشرط على التركيب والترابط بين الشرط والجواب، ويتم الاتصال بينهما بمجموعة من الأدوات، تختلف في طبيعتها ووظائفها التي وضعت

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 41/4.

(2) الكفوي، الكليات: 67/3.

(3) الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي بيروت، لبنان، ط3، 1971: 53/2.

(4) طحان، ريمون، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ص90.

لها، وقد تعرض النحاة والمفسرون لمعاني مجمل هذه الأدوات، وأوضحوا دلالاتها الأساسية والفرعية والمجازية التي استعملت بها، وتنقسم أدوات الشرط إلى قسمين:

1. أدوات الشرط الجازمة، وهي: "إن، من، متى، إذما، مهما، أي، أيان، حيثما،

أنى"، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ & % \$ # " ' () * ﴾⁽¹⁾.

2. أدوات الشرط غير الجازمة، وهي: "إذا، كيف، أما، لما، لو، لولا، لوما"، ومن

أمثلتها قوله تعالى: ﴿ ^ _ ` a b c ﴾⁽²⁾.

وينقسم أسلوب الشرط الجازم وغير الجازم حسب أدواته إلى شرط غير إقناعي، والقسم الثاني الشرط الإقناعي، وأدوات الشرط الإقناعي هي: "لو، لولا، لوما" وبقية الأدوات للشرط غير الإقناعي، وسنتناول أدوات الشرط بالتفصيل، والتي تطرق إليها الطبري في تفسيره لنرى آراء النحاة والمفسرين فيها.

3.4.3 أدوات الشرط:

وتنقسم إلى أدوات الشرط الجازمة وأدوات الشرط غير الجازمة، فالأولى

هي: "إن، من، متى، إذما، مهما، أي، أيان، أين، حيثما، أنى"، ومن أمثلتها:

قوله تعالى: ﴿ & % \$ # " ' () * ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿ ?

@ A B ﴾⁽⁴⁾.

والثانية هي: "إذا، كيف، أما، لما، لو، لولا، لوما"، ومن أمثلتها: قوله تعالى:

﴿ ^ _ ` a b c ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿ & ') * +

, ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

(2) سورة البقرة الآية: 17.

(3) سورة البقرة، الآية: 106.

(4) سورة البقرة، الآية: 85.

(5) سورة البقرة، الآية: 20.

(6) سورة البقرة، الآية: 17.

إن:

تُعدُّ أداة الشرط "إن" أمّ هذا الباب، فقد عدّها النحاة "أم الشرط"⁽¹⁾، حتى أصبحت عنوان أدواته، ويرى الطّبري أنّ "إن" هي حرف يكثر استخدامه في الشرط، وأصل الأدوات فيه⁽²⁾، وقد حظيت "إن" بكثير من الدراسات النحويّة مقارنة بأدوات الشرط الأخرى، ويرجع ذلك في رأي النحاة إلى سببين:

الأول: أن هذه الأداة هي الوحيدة التي تتمخض للشرط، بحيث لا تنفك عنه في الاستعمال، ولا تعبر عن غيره، وأشار ابن يعيش إلى ذلك بقوله: "واعلم أنّ (إن) أم هذا الباب للزومها هذا المعنى وعدم خروجها عنه إلى غيره"⁽³⁾.

الثاني: فيشمل في اطراد التركيب الشرط بها، إضافةً إلى تواترها في النص القرآني بلغ (572)، من (1379) في الآيات القرآنيّة التي ورد فيها أسلوب الشرط⁽⁴⁾.

وقد اهتم النحاة والمفسرون بمعاني هذه الأداة في الأسلوب الشرطي، بوصفها أم الباب، وقرنوها بأخواتها، وعرضوا لمعناها الأساسي، وللمعاني الأخرى التي خرجت إليها، واتفقوا على أن معنى الشرط فيها هو المستقبل، وذكر الطّبري أنها تقلب زمن الماضي بعدها إلى الاستقبال، وأن معناها الأساسي الموضوع له هو الشك، والاحتمال⁽⁵⁾.

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 41/7.

(2) الطّبري، جامع البيان: 22/15.

(3) ابن يعيش، شرح المفصل: 41/7.

(4) المسدي، عبد السلام؛ والطرابلسي، محمد الهادي، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربيّة للكتاب، تونس، 1985، ص30.

(5) الطّبري، جامع البيان: 363/1.

أما المعاني التي خرجت إليها "إن" فهي متعددة ومتنوعة، فقد ذهب الفراء إلى خروج "إن" إلى معنى الدعاء⁽¹⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿ e d c b ﴾⁽²⁾ ﴿g f﴾.

وذهب الطبري بها إلى معنى الإبهام⁽³⁾، كما في قول أبي الأسود الدؤلي⁽⁴⁾:
أحبّ محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
فإن يك حُبُّهم رشداً أحبه لست بمخطئ وإن كان غيًّا
وقال الطبري: "ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمى
رشد ولكنه أبهم على من خاطبه به"⁽⁵⁾.

وحمل الطبري "إن" معنى آخر وهو الإلصاق في التعبير وحسن الخطاب⁽⁶⁾،
كما في قوله تعالى: ﴿ b a ^ _ ^] \ [﴾⁽⁷⁾.

وقد عقد النحاة والمفسرون لهذه الأداة أكثر من مقارنة مع أداة الشرط "لو"
فبينوا أنها قد تكون بمعناها، فتقع للماضي، لاسيما إذا دخلت عليها اللام الموطئة
للقسم، فقد ذكر الطبري وأبو حيان ذلك في قوله تعالى: ﴿ m l k j i ﴾
﴿p on﴾⁽⁸⁾، فقد جعل الطبري "إن" بمعنى "لو"⁽⁹⁾.

(1) الفراء، معاني القرآن: 84/1.

(2) سورة يوسف، الآية: 33.

(3) الطبري، جامع البيان: 261/2.

(4) السكري، الحسن بن الحسن بن عبيد الله، ديوان أبي الأسود الدؤلي، دار ومكتبة الهلال،
د.ط، ص 77.

(5) الطبري، جامع البيان: 262/1.

(6) المرجع نفسه: 103/1.

(7) سورة الزخرف، الآية: 81.

(8) سورة فاطر، الآية: 41.

(9) الطبري، جامع البيان: 144/12.

وأجاز أبو حيان ذلك على سبيل الفرض، أي ولئن فرضنا زوالها وأيد مذهبه بقراءة ابن أبي عجلة "ولو زالتا" وأشاد إلى أن وقوع "إن" بمعنى "لو" قليل: ولا ينبغي أن يذهب إليه إذا ساغ إقرارها على أصل وضعها⁽¹⁾.

وكذلك نجد أن الطبري يدعم رأيه بإمكانية إبدال "لو" في موضع "إن"، وذلك لتقارب مخرجيه ومبنيها، وتجاب كل واحدة فيها بجواب صاحبته⁽²⁾.

ومثل الطبري قوله تعالى: ﴿ [﴿⁽³⁾، فقال: بعث تعالى ذكره بذلك:

وإن أعجبتكم المشركة من غير أهل الكتاب في الجمال والحب والمال، فلا تتكحوها، فإن الأمة المؤمنة خير عند الله منها، وإنما وضعت "لو" موضع "إن" لتقارب مخرجيه ومعنييهما، ولذلك تجاب كل واحدة بجواب صاحبته⁽⁴⁾.

واستشهد الطبري بإمكانية استبدال "أن" مكان "لو" في قوله تعالى: ﴿ >

N ML KJ I HG F E DC BA @?

Q P O⁽⁵⁾

فقال: "إن" قوله "وأصابه الكبر" هو فعل ماضٍ معطوف به على قوله "أيود أحدكم"، وذلك لأن قوله "أيود" يصح أن يوضح فيه لو مكان "أن" فلمَّا صلحت "لو" و"أن" ومعناهما جميعاً للاستقبال أجازت العرب على أن يردّوا "فعل" بتأويل "لو" على "يغفل" مع "أن" فلذلك قال "فأصابها وهو في مذهبه بمنزلة "لو" إذ ضارعت "أن" في معنى الجزاء فوضعت في مواضعها، وأجيب "أن" بجواب "لو" و"لو" بجواب "أن" فكأنه مثل "أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها

(1) الأندلسي، البحر المحيط: 431/1.

(2) الطبري، جامع البيان: 369/4.

(3) سورة البقرة، الآية: 221.

(4) الطبري، جامع البيان: 458/2.

(5) سورة البقرة، الآية: 266.

الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر"⁽¹⁾. وهو رأي الفراء الذي كان في مقدمة القائلين بمجيء لو بمعنى إن⁽²⁾.

إلا أن الدراسة ترى أن لدلالة "لو" على الشرط معنى متميزاً لا تشركه فيه "إن"، فوضعها كما يقول ابن الزمكاني: "أن أن تدل على امتناع لامتناع آخر"⁽³⁾، هذا من ناحية دلالة الارتباط، ثم تكون "لو" الشرطية للماضي لتصرف المضارع إليه، وهذا عكس ما يحصل مع "إن" الشرطية كما إن دلالتها على الارتباط أيضاً قول صاحب تهذيب الإيضاح: "تدل على انتفاء القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء"⁽⁴⁾.

وإذا ما رجع المتتبع إلى كلام براجشتراسر، يظهر لنا أنه جعل فرقاً بين الأداتين أولهما: أنه إذا قلت: إن أكرمتي، شككت في هل يكرمني المخاطب أم لا، وإذا قلت: لو أكرمتي كنت عارفاً بأن المخاطب لم يكرمني، فالفرق المشار إليه بـ"لو" فرض ضد الواقع أو المتوقع، والغرض المشار إليه، بأن فرض ما يتردد في وقوعه، والفرق الثاني: أن إن دائماً للمستقبل أو على الأكثر للحاضر، ولو للماضي وقليلاً ما تكون للحاضر أو المستقبل"⁽⁵⁾.

إذا:

تتفرد "إذا" عن بقية الأدوات في ثنائية دلالتها إذ هي تتدرج ضمن أدوات التلازم الشرطي وأدوات التلازم الظرفي. وتعدّ "إذا" عند النحاة اسماً من أسماء الزمان فهي من بدئها تدل على الظرف غير أنها تتمخض للشرط إذا ضمّنت معنى الجزاء⁽⁶⁾.

(1) الطبري، جامع البيان: 77/5.

(2) الفراء، معاني القرآن: 215/2.

(3) الزمكاني، البيان في علم البيان، ص 83-84.

(4) القزويني، تهذيب الإيضاح: 222/3.

(5) براجشتراسر، التطور النحوي، ص 135.

(6) ابن هشام، مغني اللبيب: 92/1.

ويذهب بعض النحاة إلى أن "إذا" لا يقع بعدها إلاّ الفعل لما تضمنته من معنى الجزاء فإذا اعترضهم أمثلة ورد فيها الاسم مرفوعاً بعد إذا مباشرة تأولوها بتقدير فعل⁽¹⁾.

إلا أن برجشتراسر يحاول أن يضع الفرق بين "أن" و"إذا" بقوله إن الارتباط الذي تؤديه "أن" يختلف من ذلك الذي تؤديه إذا، والفرق التركيبية بين الأداتين كبير⁽²⁾.

ويقربها الطبري دائماً بالأداة "إن" فيرى أنها تلتقي بها في بعض الوجوه وتفرقها في أخرى، فهي مثلها موضوعة للشرط في المستقبل، وتقلب زمن الماضي بعدها⁽³⁾.

وبعض النحاة جعل "إذا" زائدة كالجرجاني⁽⁴⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿

^ _ ` a b c ﴿⁽⁵⁾.

وقد خالف الطبري الجرجاني ورأى أن تقدير إسقاطها يبطل المعنى الذي أراده الشاعران الأسود بن يعفر وعبد مناف ربيع الهذلي، في بيتيهما، ففي قول الأول⁽⁶⁾:

فإذا وذلك لا مهاه لذكره
وقول الثاني⁽⁷⁾:
حتى أسلكوهم في قتائده
والدهر تعقيبٌ صالحاً بفساد
شلاً كما تطردُ الجمالة الشرداً

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 96/4.

(2) براجشتراسر، التطور النحوي، ص134.

(3) الطبري، جامع البيان: 311/7.

(4) الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص155.

(5) سورة الواقعة، الآيتين: 1-2.

(6) الأسود بن يعفر، ديوانه، ص31، وابن منظور، لسان العرب: 542/13.

(7) ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة، د.ط، 1965: 42/2، وابن منظور، لسان العرب:

وعلى الرغم من أنّ الطّبري رجح رأي بعض البصريين في هذه المسألة إلاّ أنّه لم يخطئ رأي الكوفيين ولم يدعمه.

لولا:

"لولا" من أدوات الشرط المحولة الرابطة، وهي مركبة من "لو" و"لا" فقد عرف أنّ لهذا التركيب أثره المعنوي من حيث أنّ لولا تدل على امتناع الشيء لوجود غيره ولو تدل على امتناعه لامتناع غيره.

وقد جاءت "لولا" في القرآن مثلوة بـ"أن" والفعل الماضي، كقوله تعالى:

﴿ a « ¬ ® - ° ± 2 (1) ﴾، كما وردت مثلوة بأن + والفعل المضارع،

كقوله تعالى: ﴿ [Z YX (2) ﴾.

وأكثر ما ورد جواب "لولا" مثبتاً مقروناً باللام، نحو قوله تعالى: ﴿ È È

È È Ì Í Î Ï (3) ﴾.

ويرى الطّبري أنّ هذه اللام التي في جواب "لولا" تذكر وتهمل، وجواب

"لولا" لا يجوز أن يتقدم عليها، ولكنه يجوز أن يحذف إذا دل عليه الكلام السابق (4).

كقوله تعالى: ﴿ F E DCBA @ ? > = < (5) ﴾، وهناك من

يرى أنّ جوابها مقدم عليها في هذه الآية يدل عليه "همّ بها" إلا أنّ الزمخشري يرد

عليهم بقول أنّ "لولا" لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط

صدر الكلام (6).

(1) سورة القصص، الآية: 82.

(2) سورة القصص، الآية: 47.

(3) سورة الزخرف، الآية: 33.

(4) الطّبري، جامع البيان: 185/12.

(5) سورة يوسف، الآية: 24.

(6) الزمخشري، الكشاف: 456/2.

وقد ذكر الطّبري أن "لولا" تأتي بمعنى "هلاً" فيقول "تأتي لولا بمعنى هلاً،
والعرب إذا أولت "لولا" اسماً مرفوعاً جعلت ما بعدها خبراً وتلقته بالأمر، فقالت
"لولا أخوك لزرتك" و"لولا أبوك لضربتك" وإذا أولتها فعلاً، أو لم تولها اسماً جعلوها
استفهاماً، فقالوا: "لولا جننتنا فنكرمك"، و"لولا زرت أخاك فنزورك" بمعنى هلاً،
كما قال تعالى: ﴿ ③ ± ° - ﴾ (1)، وكذلك تفعل بـ"لوما" مثل
فعلها بـ"لولا" (2).

والطّبري في هذا الرأي ينقل رأي الفراء (3).

لَمَّا:

أداة نفي مركبة، قال عنها النحاة: "إنّها "لم" أضيفت إليها ما للتأكيد
والتقوية" (4).

و"لَمَّا" من أدوات التعليق، وهي ظرف مختص بالماضي فتقتضي جملتين:
وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، ويقال فيها حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول:
حرف وجوب لوجوب (5).

وترد "لَمَّا" عند النحاة على ثلاث أوجه: تقع بمنزلة "إلا" وظرفاً بمعنى "حين"
وأداة شرط، وقد قيد الفراء استعمالها في الوجه الأول في القسم الاستعطافي ومع
"إن" النافية في لغة بعض العرب ومنعة في الاستثناء عموماً (6).

(1) سورة المنافقون، الآية: 10.

(2) الطّبري، جامع البيان: 356/11.

(3) الفراء، معاني القرآن: 213/3.

(4) الزجاج، إعراب القرآن: 760/2-761.

(5) القيسي، مكّي بن أبي طالب، تأويل مشكل القرآن، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة
الرسالة، بيروت، لبنان: 413/2.

(6) الفراء، معاني القرآن: 29/2.

وقد تابعه في ذلك الطَّبْرِي وحمل على الوجه الثاني عدداً من النصوص⁽¹⁾،

أما الظرفية فوجهه جرى عليه الطَّبْرِي في تفسير قوله تعالى: ﴿ L K J

﴿ P ON M ﴾⁽²⁾، عندما جعلها بمعنى إذ صبروا وحين صبروا.

وقد حمل الطَّبْرِي "لَمَّا" بمعنى مهما في قوله تعالى: ﴿ n ml k

﴿ t s rq po ﴾⁽³⁾.

وذكر خلاف النحاة في قراءة "لَمَّا" فذكر أنها لام الابتداء إذا قرئت بفتح اللام،

وأن "ما" بمعنى الذي وما بعدها صلة لها، واللام التي في "لتؤمنن به ولتنصرنه" لام القسم في رأي بعض نحويي البصرة، ثم ذكر أن بعض نحويي الكوفة خطأً هذا الرأي البصري، وناقشه، فقال: "اللام تدخل في أوائل الجزاء لا تجاب بـ"ما" ولا "لا"، فإذا وقع في جوابها "ما" و"لا" علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى⁽⁴⁾.

ثم قال الطَّبْرِي: "وأولى الأقوال في هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح

اللام بالصواب أن يكون قوله "لما" بمعنى "مهما"، وأن تكون ما حرف جزاء أدخلت عليها اللام وصير الفعل معها على فعل، ثم أجيب بما تجاب به الإيمان، فصارت اللام الأولى يميناً إذ تلتقيت بجواب اليمين"⁽⁵⁾.

ويبدو أن هذا الرأي قد انفرد به الطَّبْرِي، فلم أعثر فيما اطلعتُ على من قال

من النحاة بأن "لَمَّا" بمعنى "مهما".

وهناك من النحاة من حكموا بزيادة "لَمَّا" ويعلل الزركشي توجيه النحاة

بزيادتها، بقوله: وإنما حكموا بزيادتها لأنَّ "لَمَّا" ظرف زمان ومعناها: وجود الشيء لوجود غيره، وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد، و"أن" المفتوحة

(1) الطَّبْرِي، جامع البيان: 211/2.

(2) سورة السجدة، الآية: 24.

(3) سورة آل عمران، الآية: 81.

(4) الطَّبْرِي، جامع البيان: 235/3.

(5) المرجع نفسه: 235/3.

تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد، فلم تبقى "لَمَّا" مضافة إلى الجمل وقد حكموا بزيادتها⁽¹⁾.

(مَنْ):

تتدرج "مَنْ" في أسرة الأسماء، وتعرف بأن: "لفظها واحد مذكر ومعناها معنى الجنس لإبهامها، تقع على الواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث"⁽²⁾.
ويذكر الفراء أنها واحدة من أدوات الشرط الجازمة، وأنها اسم للعاقلين مبهم يصلح للمذكر والمؤنث، والمفرد والجمع"⁽³⁾.

ويذكر الطبري نقلاً عن الرازي بقوله: "أنه يمكن أن تحمل "من" الشرطية على الموصولة" إذا جاء بعدها فعل مرفوع، كما جاء في رواية فنبل عن ابن كثير:
﴿ r q p o n m l k j i ﴾⁽⁴⁾، أو فعل ماضٍ،

كقوله تعالى: ﴿ n m l k j i h ﴾⁽⁵⁾، لأن الموصولة تقع في خبرها التاء أيضاً، ولكنه أوضح أن الماضي يمكن أن يكون في محل جزم أيضاً⁽⁶⁾.
(مَا):

وهذه الأداة تمتاز بأنها ذات طواعية دلالية، حيث يتنوع معناها حسب السياق اللغوي الذي ترد فيه، فتكون استفهاماً، ونعتاً، وشرطاً.
وقد ذكر النحاة أنها اسمٌ يعمل الجزم في أسلوب الشرط فتجزم فعلين، وقد جعل الرازي شرطيتها فرعاً في وجوها والأصل للنفي مبيناً أنها استعيرت للشرط مثلما استعيرت "إن" الشرطية للنفي"⁽⁷⁾.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 76/3.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 13/4.

(3) الفراء، معاني القرآن: 373/1.

(4) سورة يوسف، الآية: 90.

(5) سورة البقرة، الآية: 158.

(6) الطبري، جامع البيان: 52/2.

(7) الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص 233.

وقد أجاز الفراء أن تجاب بما يجاب به القسم إذا دخلت عليها اللام الموطئة
وكان فعل الشرط ماضياً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ p o n m l k ﴾

﴿ { z y x w v u t s r q ﴾⁽¹⁾،

فقد جعل اللام في "لماً" الموطئة، والجواب لتؤمنن به⁽²⁾.

وذكر الطبري أن هذه اللام عند بعض نحاة البصرة للابتداء "وما" مبتدأ
والخبر "كتاب" و"من" زائدة، ولكنه رفض توجيهات أخرى مشابهة⁽³⁾.

(مهما):

لقد اختلف النحاة في شأن مهما من وجهتين: البساطة والتركيب، والاسميّة
والحرفيّة، ولكنهم مجمعون على أنّها للجزاء⁽⁴⁾.

وقد استعملت "مهما" في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ : : ﴾

﴿ E DCBA@ ? > = < ﴾⁽⁵⁾.

وقد وقع الاختلاف بين النحاة والمفسرين في أصل "مهما" في هذه الآية،
وذهب أغلبهم إلى تركيبها على قولين:

1. أنّها مركبة من "ما" الشرطيّة زيدت عليها "ما" بعدها توكيداً، ثم أبدلت ألف
الأولى هاء، لئلا يقع التكرار اللفظي، وكان أول من ذكر زيادة "ما" الثانيّة
ابن زيد⁽⁶⁾.

ونسب الزجاج هذا المذهب إلى النحاة القدماء، وأيّده واستدل له ببعض
الجوانب النحويّة، واستشهد له بآيات من القرآن⁽⁷⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 81.

(2) الفراء، معاني القرآن: 233/1.

(3) الطبري، جامع البيان: 331/3.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 5/4.

(5) سورة الأعراف، الآية: 132.

(6) الطبري، جامع البيان: 30/9.

(7) الزجاج، معاني القرآن: 408/2.

ب. الحلف واليمين وهو القَسَم -بفتح القاف والسين- جمعة أقسام مثل سبب وأسباب، ويستعمل منه الأفعال الآتية: اقسم بالله إقساماً، قاسمة، أقسم، تقاسم، استقسمه بالله، القسامة.

2. مادة "ي م ن": بزيادة ياء قبل الحرف الأخير: يمين على وزن فعيل، تكون لها عدة معانٍ: منها يمين الإنسان، والقوة، والقدرة، والمنزلة، ومن معانيها الحلف والقسَم، وهو المعنى الذي يهمننا بالدرجة الأولى.

3. مادة "ح ل ف": ولها معنيان رئيسان، هما القسم والعهد:
أ. الحَلْفُ والحَلِيفُ: لغتان في القسم، مشتقاته هي: حَلَفَ حالف وحَلَّافٌ، وحَلَّافَةٌ، وأحلفت الرجل، وحلفتة، واستحلفتة، ومُحَلِّفٌ.

ب. الحَلِيفُ: العهد يكون بين القوم ومن مشتقاته: حالفه: عاهده، وتحالفوا: تعاهدوا، والحليف: المحالف.

القسم اصطلاحاً:

القسم جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية، ومن شأن الجملتين أن تنزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء⁽¹⁾.
وعرفه ابن مالك بقوله: "هو جملة يجاء بها لتوكيد جملة وترتبط إحداها بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء وكلتاها اسمية وفعلية والمؤكددة هي الأولى والمؤكددة هي الثانية وهي المسماة جواباً"⁽²⁾.

2.5.3 الغرض من أسلوب القسم:

بعد أن تعرضنا للمعنى اللغوي لألفاظ القسم واليمين من خلال دراسة الأصل الاشتقاقي لها، وعرفنا المعنى الاصطلاحي لها من خلال التعاريف التي ذكرت أسلوب القسم نجد أن هناك إجماعاً عند النحاة وأصحاب كتب علوم القرآن على

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 90/9.

(2) جمال الدين، أبو عبد الله بن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، 1982: 834/2.

تحديد الغرض الرئيس من القسم ألا وهو التوكيد، فابن يعيش مثلاً يقول: "اعلم أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي وإثبات"⁽¹⁾.

وقد ذكر السيوطي نقلاً عن أبي الحسن التبشيري⁽²⁾: "إن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقسم فذكر الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿ 9 8 7 6 5 4 : = < 》⁽³⁾، وقال: ﴿ ā â á à ß 》⁽⁴⁾.

وقد ورد القسم في القرآن الكريم كثيراً، فكل خبر أو كلام نريد توكيده يحتاج إلى أحد شيئين، إما القسم، وإما الشهادة، منعاً للإنكار يوم القيامة، ويستعمل أسلوب القسم من أجل إزالة الشك والإبهام ومن أجل توكيد الأمر المقسم عليه، فأسلوب القسم يكون من جملتين، هما: جملة القسم وجوابه، ولا تستغني إحداهما عن الأخرى، فالأولى -أي جملة القسم- تأتي لتوكيد الجملة الثانية -أي جملة جواب القسم- وأسلوب القسم يأتي لتحقيق شيء ما، نفيًا أو إثباتًا فأسلوب القسم بشقيه بمثابة المبتدأ والخبر لا يستغني أحدهما عن الآخر. فيتكون أسلوب القسم من:

1. جملة القسم:

فجملة القسم جملة خبرية وتسمى القسم، وتأتي لتوكيد المقسم عليه، مثل قوله تعالى: ﴿ q p on m 》⁽⁵⁾، فجملة القسم في هذه الآية مغلبة، وتأتي جملة القسم اسمية أيضاً مثل قولك لعمر ك، فإن اسمها وخبرها في الآية جواب

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 90/9.

(2) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الشهيد الحسيني، مصر: 95/4.

(3) سورة آل عمران، الآية: 18.

(4) سورة يونس، الآية: 53.

(5) سورة المنافقون، الآية: 1.

للقسم، فقوله تعالى "لكاذبون" اللام هنا لام القسم المستعاض بها من اللام المزحلقة لما في "تشهد" من معنى القسم.

2. المقسم به:

لا بد لأسلوب القسم من مقسم به، وهو الذي يتخذه الحالف وسيلة لتأكيد قوله، وهو عادة ما يكون معظماً عند الحالف وعند المحلوف له، وقد يكون معظماً عن الحالف فقط، أو عند المحلوف له فقط، وقد يذكر مع الفعل، وهو أقوى دليل على وجود قسم في الكلام، وقد ذكر في القرآن الكريم كثيراً حيث ورد ذكره مع فعل القسم في (22) موضعاً⁽¹⁾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ! " # \$ % ﴾⁽²⁾، حيث أقسم الله بذاته،

وقوله تعالى: ﴿ [Z \] ^ _ ` a b c d e f g h ﴾⁽³⁾.

حيث أقسم سبحانه في هذه الآية يوم القيامة لعظمه، وهوله، وبالنفس اللوامة، وفي قوله: ﴿ 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴾⁽⁴⁾ فهو أعم قسم في القرآن حيث أقسم سبحانه بكل شيء لما يرى وما لا يرى، أي بكل مخلوق، وغيرها من الشواهد القرآنية، التي نجد فيها أن المقسم به قد ذكر مع فعل القسم سواء أكان المقسم به الله سبحانه أم غيره.

وقد يذكر المقسم به مع حذف فعل القسم، فقد ذكر المقسم به في القرآن (50) موضعاً باتفاق وثمانية مواضع على اختلاف⁽⁵⁾.

(1) عون، علي أبو القاسم، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن، منشورات

جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 1992، ص 81.

(2) سورة المعارج، الآية: 4.

(3) سورة القيامة، الآيات: 1-3.

(4) سورة الحاقة، الآيتين: 38-39.

(5) عون، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن، ص 83.

ومن أمثلة ذكره مع حذف فعل القسم قوله تعالى: ﴿ ٢٠ ﴾ - °

± 2 3 μ (1)

وقد يحذف المقسم به مكتفين بدلالة الفعل على القسم، وقد أشار ابن يعيش إلى قول الفقهاء في هذا الباب بقوله: "ولو قال: أقسم أو أحلف أو أشهد ثم حنث وجبت عليه الكفارة لأنه يصرف إلى معنى أقسم بالله ونحوه"⁽²⁾.

وقد وجد في القرآن الكريم أمثلة على حذف المقسم به وذكر فعل القسم في

(10) مواضع⁽³⁾، ومنها قوله تعالى: ﴿ ١ μ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾⁽⁴⁾.

وقد أجاز أغلب النحاة حذف المقسم به، وبالمقارنة بين الآيات التي ذكر فيها المقسم به، والآيات التي لم يذكر فيها نجد أن الأكثر هو ذكر المقسم به إذا ذكر فعل القسم، وبذلك يكون حكم النحاة في جواز حذف المقسم به مطابقاً للقرآن الكريم.

3.5.3 أدوات القسم:

إن جمل القسم إما أن تكون اسمية أو فعلية، وكل جملة لا بُدَّ لها من أداة وذلك لأن هذه الأولى هي التي توصل معنى الحلف إلى المقسم به، وحروف القسم خمسة: الباء، والواو، والتاء، واللام، ومن، وأكثرها استعمالاً الثلاثة الأولى⁽⁵⁾. وسنتناولها بالدراسة ابتداءً بالأصل "الباء" ثم الأكثر استعمالاً "الواو"، وإن كان هناك من النحاة من يعتبرها كلها أصولاً فابن خالويه يعتبر أن حروف القسم كلها أصولاً ويعتبر همزة الاستفهام أصلاً كذلك، وهي عوض عن حرف القسم⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء، الآية: 65.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل: 95/9.

(3) عون، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن، ص 83.

(4) سورة المجادلة، الآية: 18.

(5) سيبويه، الكتاب: 497/3.

(6) إعراب ثلاثين سورة، ص 37.

الباء:

الباء من حروف الجر يأتي لعدة معانٍ من بينها القسم، وقد اقتصت من بين حروف الجر بمعنى القسم، وذلك لأنها الأصل في التعديّة، فلما كان فعل القسم غير متعدّد وصلوه بالباء المعدية فصار اللفظ أحلف بالله أو أقسم بالله، قال تعالى:

﴿ 1 0 ¼ ½ ﴾⁽¹⁾.

وكذلك لأن معنى الباء لا يفارقها الإلصاق، والمقصود هنا: إصاق معنى القسم بالمقسم به: وإيصاله إليه، ولم يتطرق الطبري إلى ذكر هذه الأداة في تفسيره، وكان أكثر ما تحدث عنه من أدوات القسم الواو، واللام، والتاء.

الواو:

وتأتي الواو لعدة معانٍ، منها: العطف، والاستباق، والقسم، والتوكيد، وواو القسم أقرب الحروف إلى الباء لأمرين: أحدهما: أنهما من مخرج واحد، فالواو والباء كلتاهما من الشقين، والآخر: أن الواو للجمع والباء للإلتصاق فلما وافقتها في المعنى والمخرج حملت عليها، وأثبت عنها، وقد بلغت الآيات التي ذكرت في حرف الواو كحرف قسم بـ" (34) آية، إضافةً إلى آيتين غير متفق على قسمة الواو فيهما وهما: قوله تعالى: ﴿ 3 4 5 6 7 8 ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿ 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 ﴾⁽³⁾.

التاء:

وقد أجمع النحاة على أن تاء القسم مبدل من الواو، وهناك من قال بغير ذلك فابن خالويه كما ذكرت سابقاً تغيير كل حروف القسم أصولاً، وهذا ما رآه أبو حيان فقال: "إنه شيء قاله كثير من النحاة، ولا يقوم على ذلك دليل، وقد ردّ هذا القول السهيلي، والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء منها أصلاً للآخر"⁽⁴⁾.

(1) سورة المائدة، الآية: 107.

(2) سورة النساء، الآية: 1.

(3) سورة طه، الآية: 71.

(4) الأندلسي، البحر المحيط: 321/6.

وقد عللَّ النحاة سبب الإبدال أنها قد أبدلت منها كثيراً، إلا أن الطَّبْرِي قد

خالف النحاة مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ K J I H G F E D ﴾

﴿ O N M L ﴾⁽¹⁾، وبقوله تعالى: ﴿ 3/4 1/2 ن أ À Á ﴾⁽²⁾،

أنَّ هذه التاء في "تالله" إنما هي "واو" قلبت "تاء".

وقد ردَّ الطَّبْرِي على الرأي الذي قال به النحاة بأن "الواو" قلبت "تاء" نحو

"تالله" و"التوراة" و"التراث" وغيرها فالأصل عندهم "التوراة" من "وريت" والتراث من "ورثت" و"التخمة" من "الوخامة"، تالله أصلها "والله" فرأى أن قلب "الواو" "تاء" تخص لفظ الجلالة وحده "الله" فـ(والله) أصبحت (تالله) وإنما جعلت تاء لكثرة ما جرى على السنة العرب في الأيمان في قولهم "والله" فخصت هذه الكلمة بأن قلبت تاء، ولا يقال ذلك في "تالرحمن" و"تالرحيم" إنما يخص هذا القلب لفظ الجلالة الله فقط⁽³⁾.

وذكر الطَّبْرِي أمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ I H G F E D ﴾

﴿ O N M L K J ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿ À Á ن 3/4 1/2 ﴾

﴿ Á ﴾⁽⁵⁾.

وقد وافق كثير من المفسرين الطَّبْرِي في هذا الرأي حيث أجمعوا على أن

التاء حرف من حروف القسم ويعمل الجر ويختص بالدخول على لفظ الجلالة "الله" دون سواه من أسمائه الحسنی أو الأسماء الأخرى، فلا يجوز أن تقول: "تالرحمن وتالرحيم"⁽⁶⁾.

(1) سورة يوسف، الآية: 73.

(2) سورة يوسف، الآية: 85.

(3) الطَّبْرِي، جامع البيان: 180/16.

(4) سورة يوسف، الآية: 73.

(5) سورة يوسف، الآية: 85.

(6) الزمخشري، الكشاف: 343/1، و122/3.

وحاول الرازي أن يعلل استخدام "التاء" في القسم فذهب إلى أنه استعمل بدلاً من الباء في قول المتكلم "بالله" وفقاً للالتباس الذي قد ينشأ لدى السامع، إذا توهم ذكر شيء آخر معه فيحمله على غير القسم فباستخدام التاء مع لفظ الجلالة المشهور، والكثير الاستخدام يستعين القسم⁽¹⁾.

اللام:

وقد ذكر ابن هشام أن لها اثنين وعشرين معنى⁽²⁾، منها: الاستحقاق، والاختصاص، والملك، والتعليل، ولمعنى "عند" وبمعنى "بعد" والقسم، والتعجب.

ولم ترد اللام التي للقسم في القرآن الكريم، ولم أجد من يشير إلى أن اللام بدل من حرف آخر من حروف القسم باستثناء الزمخشري قال بأنهم أوقعوا حروفاً موقع الباء من بينها اللام⁽³⁾.

وقد يجتمع القسم والشرط في جملة واحدة، وهذا نجده كثيراً في القرآن الكريم، وقد تحدث الطبري عن مثل هذا الإجماع، وذلك عند تفسيره قوله تعالى:

w v u t s r q p o n m l k ﴿

{ } | { z y x }⁽⁴⁾

فقد ذكر الطبري اختلاف أهل العربية حول اللام في الآية السابقة⁽⁵⁾، فقال بعض نحويي البصرة: "اللام التي مع "ما" في أول الكلام "لام الابتداء" نحو قول القائل "لزيد أفضل منك" لأن "ما" اسم والذي بعدها صلة لها، واللام التي في لتؤمنن به ولتصرفه "لام القسم"، كأنه قال: والله لتؤمنن به".

وخطأ بعض نحويي الكوفة ذلك كله، وقال: "واللام" التي تدخل في أوائل

الجزاء تجاب بجوابات الإيمان، يقال: "لمن قام ما أحسن".

(1) الرازي، تفسير الرازي: 278/28.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب: 207/1.

(3) ابن يعيش، شرح المفصل: 99/9.

(4) سورة آل عمران، الآية: 81.

(5) الطبري، جامع البيان: 550/6.

ولم يرجح الطّبري أياً من الرأيين والذي يبدو راجحاً في هذه الآية أن تكون "ما" شرطية، والقسم قد اجتمع مع الشرط وتقدم عليه، والذي يقوي ذلك "أخذ الميثاق" لأنه بمعنى الاستخلاف، وحتى على القول بموصولة "ما" لا تُخرج أخذ الميثاق في هذا الموضع عن معنى الاستخلاف، فهو للقسم لتضمنه معناه.

من:

ذكر بعض النحاة أنها تأتي لعدة معانٍ من بينها القسم وفي مقدمتهم سيبويه حيث قال: "واعلم أن من العرب من يقول: من ربي لأفعلن ذلك، ومن ربك إنك لأشير، يجعلها في هذا الموضع بمنزلة الواو والباء في قوله: والله لأفعلن"⁽¹⁾.
إلا أن هناك عدداً كثيراً من النحاة شكّ في اعتبار القسم من معاني "من" ومنهم ابن هشام حيث يرى أنها تأتي على خمسة عشر وجهاً وليس القسم من بينها"⁽²⁾.

ولا أرى داعياً للخوض في آراء كلا الطرفين في "من" كأداة قسم أو غيرها، وذلك لأنها لم ترد في القرآن الكريم، ولم يتطرق الطّبري إلى هذه الأداة "من" كأداة للقسم.

وهناك نوع آخر من القسم تعرض إليه النحاة والمفسرون وهو القسم غير الصريح وقد عالجه النحاة تحت مسميات مختلفة "كألفاظ نائبات القسم" و"هذا اللفظ أجرى مجرى القسم، وعباس حسن ذكر أنهم يسمونه ألفاظ القسم غير الصريح، وقد ذكر الطّبري في تفسيره مثلاً على هذا النوع من القسم وذلك في عوض تأويله لقوله تعالى: ﴿ 5 6 7 8 9 : ; < = ﴾⁽³⁾، فقال أنه قوله تعالى: "وتمت كلمة ربك" قسم كقول القائل: "حلفني لأزورنك" و"بدا لي لآتينك" ولذلك تلقيت بلام اليمين"⁽⁴⁾.

(1) سيبويه، الكتاب: 499/3.

(2) ابن هشام، شرح الرضي: 300/4.

(3) سورة هود، الآية: 119.

(4) الطّبري، جامع البيان: 536/15.

ووافق الفراء بقوله صار قوله عز وجل: "وتمت كلمة ربك" يمينا كما تقول:
حلفني لأضربنك، وبدا لي لأضربنك⁽¹⁾.
وقال أبو حيان: "وتمت كلمة ربك أي نفذ قضاؤه، وحق أمره واللام في
لأملان هي التي يتلقى بها القسم أو الجملة قبلها ضمنت معنى القسم"⁽²⁾.

6.3 الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، وعلى آله
وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد.

فقد خلصت الباحثة إلى النتائج التالية:

1. يعد تفسير الطبري مرجعاً أساسياً لمعرفة آراء النحاة المتقدمين وخاصة أولئك
الذين لم تصلنا كتبهم، كما يعد مرجعاً مهماً لتوثيق النصوص التي وصلتنا،
وتكشف آراءه النحوية في مجال اللغة وإسهاماته في القضايا التي تناولها.
2. استعمل الطبري عدداً كبيراً من المصطلحات النحوية في تفسيره، ويعد هذا
مصدراً مهماً في معرفة المصطلح النحوي، بصرياً كان أم كوفياً، وجعل منه
مصدراً مهماً في معرفة تطور المصطلح ومدلولاته، وإن استعماله كثيراً من
المصطلحات الكوفية كالتقريب، والصرف، والرد... وغيرها، جعل من تفسيره
مصدراً مهماً من مصادر دراسة المصطلح.
3. تبين لي من خلال هذا البحث أن الطبري كوفي المذهب، وقد بينت ذلك في
الفصل الأول في "مذهبه النحوي"، وأكدت ذلك من خلال ترجيحاته للكوفيين،
ومتابعتهم في توجيه الشواهد النحوية، وفي استعمال مصطلحاتهم.
4. يعد تفسير الطبري من أقدم التفاسير التي أفادت من القواعد النحوية وأحكامها،
ونقلت لنا آراء النحاة السابقين وحججهم، وسخره الطبري في مجال التفسير
النحوي تفسيراً يقوم على ربط المعنى بالنحو الذي يخدم القرآن الكريم.

(1) الفراء، معاني القرآن: 31/2.

(2) الأندلسي، البحر المحيط: 274/5.

5. لم يخلف الطّبري كتاباً في النحو واللغة. واكتفى بذكر آرائه النحويّة في تفسيره الواسع، ولهذا حاولت الدراسة الكشف عن الجوانب النحويّة واللغويّة عند الطّبري في تفسيره، وتعرف شخصيته ومواقفته أو مخالفته للنحاة السابقين له.
6. حاولت الدراسة الإفادة من المناهج اللغويّة التي عنت باللسانيات الحديثة في الكشف عن الأساليب النحويّة، وأثر السياق والدلالة في توجيه الاستعمال في هذه الأساليب، وكشف بعض المظاهر الوظيفيّة في استعمال الحروف، وعدم الاحتكام إلى المعايير النحويّة في توجيه المسائل التي طرحت في الأساليب النحويّة.
7. كشفت الدراسة كيف وظّف الطّبري خروج الأدوات النحويّة عن معناها الحقيقي والنحوي الذي وُظفت له في كثير من الأساليب النحويّة، كالاستفهام والتوكيد والنفي، وربط ذلك بالمعنى أي أنّه لم يلتزم بالقاعدة المعياريّة في استعمال الحروف ودلالاتها، بل جعل من القرآن وتفسيره ميداناً للوظيفية، فهو في هذا يعدّ نموذجاً لاستقراء القواعد النحوية في صور الاستعمال اللغوي.
- إنّ هذه الدراسة محاولة جادة من الباحثة في الربط بين مناهج القدامى النحاة المفسرين من خلال الطبري نموذجاً، وبين مناهج المحدثين الذين نظروا إلى الأساليب النحوية نظرة لسانية معاصرة تحاول التخلص من قواعد نظرية النحو القديم ممثلة بالعامل المعنى المعياري والمقاييس التي يجب أن تطرد.

المراجع

إبراهيم، مصطفى، (1959)، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.

الأخفش، سعيد بن مسعدة، (1981)، معاني القرآن، ط2، تحقيق: فائز فارس، الكويت.

إستيتية، سمير شريف (ت: 215هـ-)، (1995)، الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ط1، دار القلم، دبي، الإمارات.

الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل (ت: 7هـ-)، (1983)، ديوان الأعشى الكبير، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

أمين، أحمد، (1969)، ظهر الإسلام، ط3، بيروت، لبنان.

الأندلسي، أبو حيان (ت 745 هـ-)، (1999)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي (ت: 754هـ-)، (1983)، تفسير البحر المحيط، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الأنطاكي، محمد، (1971)، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ط3، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان.

أنيس، إبراهيم، (1975)، أسرار العربية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

أنيس، إبراهيم؛ والصوالحي، عطية؛ ومنتصر، عبد الحليم؛ وأحمد، محمد خلف الله، (1972)، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، مصر.

الأوسي، قيس إسماعيل، (1988)، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة وزارة التعليم العالي، بغداد، العراق.

برجشتراسر، جوتهلّف، (1919)، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مصر.

البرزة، أحمد مختار، (1985)، أساليب التوكيد من خلال القرآن، ط1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان.

بومعزّه، رابح، (2008)، التحويل في النّحو العربي، مفهومه، أنواعه، صورته، ط1، جدارا للكتاب العالمي، اربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (ت: 471هـ)، (1982)، المقتصد في شرح الإيضاح، ط1، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.

الجرجاني، عبد القاهر (ت: 471هـ)، (1992)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر.

الجرجاني، علي بن محمد (ت: 816هـ)، (د.ت)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.

جمال الدين، أبو عبد الله بن مالك، (1982)، شرح الكافية الشافية، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للنزاهة، القاهرة، مصر.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392)، (2002)، البيان في شرح اللمع، تحقيق: علاء الدين حمويّة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ)، اللمع في العربية، ط2، تحقيق: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، (1986)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، لبنان.

الجوهري، أبو إسماعيل بن محمد (ت: 393هـ)، (1975)، الصحاح في اللغة، المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان.

ابن الحاجب، جمال الدين (ت: 646هـ)، (1985)، شرح الشيخ الأسترابادي (الكافية في النحو)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الحاجب، جمال الدين (ت: 646هـ)، (د.ت)، الكافية في النّحو، شرح الشيخ الأسترابادي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

حسان، تمام، (1973)، اللغة العربيّة معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

أبو الحسن، نور الدين (ت: 900هـ)، (1998)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

الحموي، ياقوت، (د.ت)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت: 370هـ)، (1985)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: 681هـ)، (د.ت)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ)، (د.ت)، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (ت: 384هـ)، (1981)، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، سعودية.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ)، (د.ت)، تاج العروس، دون ناشر.

الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: 311هـ)، (د.ت)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

الزحيلي، محمد، (1990)، الإمام الطبري، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان.

الزركشي، بدر الدين (ت: 794هـ)، (1971)، البرهان في علوم القرآن، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الزمخشري، جار الله محمود الزمخشري (ت: 538هـ)، (د.ت)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ترتيب: محمد عبد السلام

شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

السامرائي، إبراهيم، (1983)، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

السامرائي، فاضل صالح، (1960)، معاني النحو، جامعة بغداد، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

السبكي، عبد الوهاب (ت: 771هـ)، (د.ت.)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دون ناشر، القاهرة، مصر.

ابن السراج، محمد بن سهيل (ت: 316هـ)، (1985)، الأصول في النحو، ط3، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله، (د.ت.)، ديوان أبي الأسود، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت: 180هـ)، (1991)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، (1986)، معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السدوان، ويوسف علي بدوي، دار ابن هانئ، دمشق، سوريا.

السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، (1988)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، بيروت.

السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، (د.ت.)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط2، تحقيق: عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

الصغير، محمود أحمد، (2001)، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق، سوريا.

الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، (1960)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

طحان، ريمون، (1972)، الأسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

العامري، لبيد بن أبي ربيعة، (1962)، ديوان لبيد بن أبي ربيعة، شرح وتحقيق: إحسان عباس، دار التراث، الكويت.

عبد القادر، مرعي، (1995)، أساليب الجملة الإفصاحية في النحو العربي، دراسة تطبيقية في ديوان الشابي، عمان، الأردن.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت: 210هـ-)، (1981)، مجاز القرآن، ط2، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمود فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

عتيق، عبد العزيز، (1974)، علم البيان، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. عثمان، عبد الفتاح عثمان، (د.ت)، دراسات في علم المعاني والبديع، مكتبة الشباب المشيدة، القاهرة، مصر.

العجاج، رؤبة، (1971)، ديوان العجاج، تحقيق عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس، دمشق، سوريا.

العسقلاني، ابن حجر (ت: 852هـ-)، (1988)، لسان الميزان، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (ت: 769هـ-)، (1995)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

العكبري، أبو البقاء (ت: 616هـ-)، (1995)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

عميرة، خليل أحمد، (1982)، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي، دراسات في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

عميرة، خليل أحمد، (1987)، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

عون، علي أبو القاسم، (1992)، أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا.

عيد، محمد، (1975)، النحو المصفي، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر.

الغلايني، مصطفى، (1999)، **جامع الدروس العربيّة**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

ابن فارس، أبي الحسن أحمد (ت: 395هـ-)، (1993)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربيّة في كلامها**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

فارس، محمد عيسى، (1984)، **النفي اللغوي بين الدلالة والتركيب في ضوء علم اللغة المعاصر**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

الفراء، يحيى بن زياد (ت: 207هـ-)، (د.ت.)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الدار المصريّة، القاهرة، مصر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 175هـ-)، (1986)، **العين**، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

ابن كثير، الحافظ (ت: 774هـ-)، (د.ت.)، **البدائيّة والنهاية**، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

الكرباسي، محمد جعفر، (2001)، **إعراب القرآن الكريم**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

الكفوي، أبو البقاء، (1981)، **الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المطري، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد اللغوي، دمشق، سوريا.

الكلبي، جرير بن عطية بن حذيفة (ت: 110هـ-)، (2008)، **ديوان جرير**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

لاينز، جون، (1987)، **اللغة والمعنى والسياق**، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، العراق.

المالقي، أحمد عبد النور (ت: 702هـ-)، (د.ت.)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا.

المبرد، محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، (د.ت)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، تحقيق: ياسين أبو الهيجاء، عالم الكتب الحديث، بيروت، لبنان.
المرادي، حسن بن عبد الله ابن أم قاسم (ت: 749 هـ)، (1973)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، حلب، سوريا.

المطردي، عبد الرحمن، (1986)، **أساليب التوكيد في القرآن**، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازي، ليبيا.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 711 هـ)، (2001)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط.

النحاس، احمد بن محمد بن إسماعيل، (ت 328 هـ)، (1988)، **إعراب القرآن**، تحقيق، زهير غازي أحمد، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت: 761 هـ)، (د.ت)، **مغني اللبيب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، مصر.

ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش (643 هـ)، (د.ت)، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، ودار الطباعة، القاهرة، مصر.